الإسراء

مجلة إسلامية شاملة
تصدر عن دار الأقصى الفلسطينية

1430 هـ

غار ثور

العدد الثاني والثمانون 82
محرم - صفر 1430 هـ
كانون الثاني - شباط 2009م

هدية

الإسراء

مجلة إسلامية شاملة

تصدر مرة كل شهرين عن دار الإفتاء الفلسطينية ـ القدس

العدد 82 محرم ـ صفر 1430 هـ وفق كانون الثاني ـ شباط 2009 م

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ (الإسراء: 1)

المشرف العام

الشيخ محمد أحمد حسين

رئيس التحرير

الشيخ إبراهيم خليل عوض الله

سكرتير التحرير

أ. يوسف تيسير محمود

هيئة التحرير

د. إسماعيل نواهضة

أ. د. حسن السلوادي

د. حمزة ذيب

د. سعيد القيق

د. شفيق عياش

ملحوظة : ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحبه فحسب

المراسلات: مجلة الإسراء ، دائرة الإعلام ، دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 - القدس / ص.ب : 1862 رام الله - تلفاكس : 02-6262495 / 02-2348603

موقعنا على الإنترنت : www.darifta.org للمراسلة على البريد الإلكتروني : israa@darifta.org

فهرس العدد

افتتاحية العدد

الهجرة النبوية الشريفة طريق العزة وخارطة العودة	الشيخ محمد أحمد حسين	4

كلمة العدد

الفتوى بين المتربصين والمسيئين والمستوى المنشود	الشيخ إبراهيم خليل عوض الله	8

من وحي الهجرة النبوية

الهجرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية	الدكتور شفيق عياش	14

فقه

أضواء على زواج المسيار	د. اسماعيل نواهضة	18
عمدة البراهين في تأثيم المحتكرين	الشيخ أحمد خالد شوباش	25
هل يحرم إسبال الإزار ؟	الشيخ أحمد ذياب	34

زاوية الفتاوى

المفتي يجيب السائلين	الشيخ محمد أحمد حسين	40

نفحات من القرآن الكريم والسنة النبوية

المباركون في القرآن الكريم	الشيخ عمار بدوي	45
وساوس الشيطان لا تصمد أمام سلاح العزيمة	الشيخ إحسان إبراهيم عاشور	62

فهرس العدد

مواقف فلسطينية

لماذا رفض الفلسطينيون قرار التقسيم عام 1947 م	الأستاذ أحمد محمود القاسم	65

قيم وأخلاق

التدين بين المظهر والجوهر	أ.د حسن عبد الرحمن السلوادي	71
بين الصدق والكذب	د. سعيد القيق	83
محبة الأوطان من دلائل الإيمان	الأستاذ كمال بواطنة	86

مواعظ وعظات

مواقف من رحلة العمل	أ. ياسين السعدي	89
وصايا لولدي الغالي	أ. فراس بشارات	93

نشاطات

من أخبار مكتب المفتي العام	الأستاذ مصطفى أعرج	97
مسابقة العدد 82	أسرة التحرير	110
حل مسابقة العدد 80	أسرة التحرير	111

خاتمة

عام هجري جديد	د. بركات فوزي	112

الهجرة النبوية الشريفة

طريق العزة وخارطة العودة

بقلم : الشيخ محمد أحمد حسين / المشرف العام

كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– قبل النبوة معروفاً لدى قومه بالصدق والأمانة والأخلاق الكريمة حتى لقبوه بالأمين، ولما اختلفت قريش على من يضع الحجر الأسود في مكانه حينما أعادوا بناء الكعبة المشرفة، نزلوا على رأي أول داخل إلى البيت، فكان رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقالوا: جاء الأمين ، وتهللوا فرحاً، وقد حكم عليه الصلاة والسلام بينهم بما أرضى الجميع، بأن جعل الحجر الأسود في رداء تحمل كل قبيلة طرفاً منه، ثم أخذه عليه الصلاة والسلام ووضعه في مكانه، وهكذا انفض نزاع بين القبائل القرشية كاد يثير حروباً ونزاعات تربو على حرب داحس والغبراء.

إلا أن هذه المكانة العظيمة للنبي – صلى الله عليه وسلم – بين أهل مكة لم تمنعهم من مناصبته العداء حينما دعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالربوبية وترك ما هم عليه من الغواية والضلال، واتباع هذا الدين الحق الذي أخرج الناس جميعاً من الظلمات إلى النور، وكان آخر عهد هذه الدنيا بنور السماء الآتي مع أمين الوحي جبريل عليه السلام.

إنها سنة الله في رسله وأنبيائه – عليهم أفضل الصلاة والسلام – أن يجدوا صداً وتعنتاً من زعماء أقوامهم، لأن الصراع بين الحق والباطل هو الذي يكشف معادن المؤمنين،ويبين صبر أتباع الحق وتضحياتهم وتحملهم أعباء حمل الدعوة وحماية الداعية.

وقد أخبر ورقة بن نوفل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حينما قص عليه خبر الوحي بأن قومه سيخرجونه من مكة (1). لأن قوى الباطل لا تقبل الحق ، ولأن زعماء المكاسب والمناصب والامتيازات لا يفرطون بها، إلا من رحم ربي وأراد له الهداية في

الدنيا والنجاة في الآخرة.

وقد ناصب زعماء مكة الدعوة الإسلامية العداوة والبغضاء، والحقد والأذى بمن آمن بالله واتبع رسوله، صلى الله عليه وسلم، وبخاصة أولئك المستضعفون من المسلمين الأوائل، حتى استشهد بعضهم كياسر وزوجه سمية – رضي الله عنهما – وقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– يمر عليهم وهم يعذَبون فيقول لهم: (**صبرا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة**) (2).

وقد اشتد الأذى على المسلمين في مكة حتى أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة، لأن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد.

إلا أن إرادة الله تعالى وتقديره اقتضيا أن يهاجر النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى يثرب، وقد أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– أصحابه بذلك في قوله: (**قد أخبرت بدار هجرتكم، وهي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج إليها**) (3).

وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى دار هجرته في منامه، وما يراه الأنبياء في منامهم فهو من الحق والوحي: (**إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان**)(4).

وهذا الوصف ينطبق على المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ولما أذن الرسول –صلى الله عليه وسلم– بالهجرة إلى المدينة المنورة أخذ الصحابة – رضوان الله عليهم – يتقاطرون على المدينة، وكان الأنصار الذين تبوؤوا الدار والإيمان في استقبال إخوانهم المهاجرين؛ ينصرونهم، ويؤوونهم، ويقاسمونهم بيوتهم وأموالهم، إنها أخوة الإيمان التي تسمو على كل الأواصر والعلائق، وإنها تضحية السابقين الأولين من أبناء هذه الأمة الإسلامية الكريمة.

ويبقى النبي، صلى الله عليه وسلم في مكة – وقد اطمأن على أصحابه المهاجرين– ينتظر أمر الله وإذنه له بالهجرة، ليخرج من مكة يصاحبه الصديق – رضي الله عنه– تحرسهما عناية الله، وقد أخذ بكل الأسباب والاحتياطات لنجاح هجرته حتى وصوله إلى دار الهجرة طيبة الطيبة، التي احتضنت المهاجرين الذين شكلوا مع الأنصار المجتمع الإيماني الأول. ودولة الإسلام الأولى، التي يقودها رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وتحميها سواعد المؤمنين من أمة الإسلام العظيمة التي اجتمعت في دار الهجرة، تنصر الله ورسوله، وتحمل هذا النور المبين الذي أضاء مشارق الأرض ومغاربها، وجعل من الأعراب المتقاتلين على سبق فرس أو بعير { خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ }.

إنها الهجرة الشريفة أكبر حدث في تاريخ الإسلام بعد مولد النبي –صلى الله عليه وسلم– وبعثته، ولذلك اختار الفاروق عمر بن الخطاب ومعه الصحابة الكرام –رضوان الله عليهم – أن تكون الهجرة الشريفة مبدأ للتأريخ الإسلامي لأمة المسلمين.

فقد انتقل المسلمون بالهجرة من وطن تسوده أحكام الكفر، وتسيطر عليه قوى الشر والبغي والشرك، ويستضعف فيه المسلمون ويضطهدون، ويمنعون من إظهار دينهم والطواف بالبيت العتيق الذي تحيط به الأصنام والأوثان.

ولم تكن الهجرة رغبة بوطن عن مكة ، وإنما كانت انتقالاً بالدين إلى وطن يحتضنه ويحميه، وقد خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم مكة حين هاجر منها إلى المدينة فقال: (**علمت أنـــك خير أرض الله و أحب الأرض الى الله . و لولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت**) . (مسند أحمد).

لقد انتقل المهاجرون إلى دار عز ومنعة، بنوا فيها المسجد النبوي، وأقاموا مجتمع الإيمان في ظل أخوة إيمانية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها. وأسسوا دولة الإسلام الأولى قائدها وحاكمها سيد المرسلين وخير الأولين والآخرين، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وما غادر الدنيا حتى دانت جزيرة العرب بالإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وعاد المهاجرون بقيادة النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى وطنهم مكة بمجموع الأمة الإسلامية، وارتفع نداء التوحيد الخالد من فوق الكعبة المشرفة إيذاناً بانتهاء عهد الشرك والوثنية، وانطلاق آفاق الإيمان الرحبة التي وسعت الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم .

إن حدث الهجرة النبوية الشريفة يحمل مشروعاً متكاملاً للأمة ولشعوبها كافة في إعادة بعث وحدة الأمة، بتفعيل عوامل القوة فيها، وهي موجودة ومتوافرة، ولا ينقصها سوى النوايا الصادقة التي توافرت في خير سلف لهذه الأمة؛ وهم أصحاب رسول الله صلى

الله عليه وسلم، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – أول رجل اعتنق الإسلام من المسلمين وصاحب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في الغار والهجرة { إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }(5).

فهلا استفدنا نحن أصحاب هذه الديار المباركة وغيرنا من شعوب المسلمين من دروس الهجرة النبوية الشريفة،وهلا عملت الأمة بمجموعها على إعادة المهجرين إلى ديارهم.

إنها الهجرة النبوية ترسم طريق العزة وخارطة العودة إلى الديار في ظل الإيمان وعزة الإسلام.

فهل أدرك بنو قومي وإخوتي في وطني، فعملوا يداً واحدة، وصفاً متراصاً، وحشدوا كل طاقاتهم مستعينين بإمكانات أمتهم – ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً – لإعادة العزة واللحمة والوحدة لهذا الوطن الجريح النازف في رحاب المسجد الأقصى وبيت المقدس وأكناف بيت المقدس.

ولتكن ذكرى الهجرة النبوية الشريفة محطة مراجعة لكل مواقفنا نستلهم منها العمل وفق سنة سيد المهاجرين وإمام العائدين إلى الوطن رسولنا الأكرم صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الطاهرين وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الهوامش

1. سيرة ابن هشام، العهد المكي، بعثة النبي وبدء الوحي، رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه.
2. أخرجه الألباني عن الصحابي جابر بن عبد الله في فقه السيرة.
3. صحيح البخاري، كتاب الحوالات، باب جوار أبي بكر في عهد النبي وعقده.
4. صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب هجرة النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه إلى المدينة.
5. التوبة: 40.

كلمة العدد

الفتوى بين المتربصين والمسيئين والمستوى المنشود

بقلم : الشيخ ابراهيم خليل عوض الله / رئيس التحرير

تعني الفتوى في اللغة الكشف والبيان والإيضاح والإخبار.

ويدل معناها الاصطلاحي على جواب ما يَشْكُل من الأحكام والمسائل الفقهية.

ووظيفة المفتي تتلخص في بيان الحكم الشرعي في مسألة من المسائل أو في أمر من الأمور. ويقتضيه هذا العلم بالقرآن والسنة النبوية وفتاوى سلف العلماء وخلفهم، فيما يخص المسألة التي يفتي فيها، على أقل تقدير، كما لا بد له من الإحاطة الواعية بالظروف والبيئة المحيطة بحال السائل ومسألته. وينبغي للمفتي كذلك أن تكون له قدرة على تحليل المواقف وربطها بالأحكام الشرعية.

ويجدر به أيضاً بذل الجهد في طلب الدليل الشرعي، ولا يصح له تجاهل الأخذ به، أو التقصير في العمل بموجبه، فهو النبراس والمستند الرئيس للفتوى الشرعية.

والفتوى بمعناها الشرعي تنبع من اجتهاد في دلالات النصوص الصحيحة على الوقائع والمسائل والحوادث، والمفتي بشر يصيب ويخطئ، والذي يؤديه فهمه لشيء قد يجد مخالفاً له في الشيء نفسه ودليله، لأسباب مختلفة، منها: اختلاف مستويات الفهم بين الناس، فلا عجب ولا غرابة أن نجد الناس قد اختلفوا في الفتوى منذ زمن بعيد، حتى في عصور الخير، وأقربها صلة وزمناً بالرسول صلى الله عليه وسلم، وكبار صحابته وخلفائه الراشدين، فقليلة هي المسائل الفقهية التي حظيت بإجماع أهل الفتوى عبر

التاريخ الإسلامي.

وجميل بالمرء أن يطلع على ما ورد في كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية، ليجد مسوغات حقيقية لوجود الاختلاف في الفتوى والمسائل الفقهية بين العلماء، بل بين أئمتهم وخيارهم. حتى إن الصحابة -رضي الله عنهم- اختلفوا في فهم بعض النصوص الشرعية والرسول -صلى الله عليه وسلم- بين ظهرانيهم، وشواهد ذلك كثيرة، من أشهرها اختلافهم في فهم المراد من أمره صلى الله عليه وسلم حين طلب منهم أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، فلما أدركتهم صلاة العصر وهم في الطريق إلى بني قريظة، صلى بعضهم، وامتنع آخرون، فالذين صلوا في الطريق أداهم فهمهم إلى أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قصد الإسراع في المسير إلى بني قريظة، ولم يرد حقيقة تأخير صلاة العصر لو أدركتهم في الطريق، أما الفريق الثاني فأخذوا الأمر بظاهره دون تأويل فسارعوا بالمسير، وحين أدركتهم الصلاة في الطريق أجلوا أداءها لحين الوصول إلى بني قريظة، والمهم أن الفريقين لما عادا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يعنف أياً منهم، بل قبل من كل منهما ما أداه إليه فهمه، في إشارة دالة بوضوح على مشروعية الاختلاف في الفتوى المستنبطة من النصوص ظنية الدلالة التي تحتمل التباين في الفهم، انطلاقاً من إمكانية وقوع ذلك التباين من بشر لهم عقول وأذهان متباينة في النظر والمستوى والربط...الخ.

غير أن الاختلاف في الفتوى ليس كله معتبراً في ميزان الشرع الحنيف، فالاختلاف منه المبرر، ومنه الشطط، فالمبرر ما كان هدفه الحق، وغايته الوصول إلى حقيقة الحكم، وسبيله قواعد الاستنباط السليمة، التي تكون وفق شروط الإفتاء الشرعي.

أما شطط الاختلاف في الفتوى فهو الأرعن الذي ينطلق من الهوجائية، دون أن يعتبر للأصول الشرعية اعتبارها اللازم، وفق ميزان الشرع الحنيف، ومعايير الفتوى الصحيحة.

فالفتوى علم قائم بذاته، ومثلها مثل كل العلوم، فلكل علم قواعده وأصوله، إذ لا

يعقل أن يقحم شخص نفسه في علم الطب أو الصيدلة أو الهندسة أو الرياضيات دون أن يكون لديه إلمام بقواعد تلك العلوم ومباحثها ومصطلحاتها ومفاهيمها وأصولها وفروعها، ولا نجد مخالفاً في إقرار هذا الحق لكل علم من العلوم المذكورة، ولكن الغرابة تبدو جلية حين نجد السماح باقتحام حصون الفتوى من غير أهلها، وقبول ذلك من فاعليه، وكأن من حق أي شخص أو فئة الإفتاء دون التقيد بأية مرجعية أو معيار. وفي هذا تعسف واضح، وللأسف أن بعض الناس يبدو أنهم يتجاهلون هذا التجني رغم وضوحه، بدليل أنهم يحاجون بسفاسف الفتاوى وشواذها، ولو ردوا الفتاوى إلى أوليّ الأمر من العلماء لعرفوا الحقيقة دون مواربة، والله تعالى يقول: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً }. (النساء: 83)

بل إن بعض المتربصين يبعد في الشطط فيحاجج في الفتاوى المشبوهة انطلاقاً من العداء للدين، وبهدف الطعن فيه، وهؤلاء يتصيدون ما يلتبس على بعض الناس من فهم لبعض أمور الدين التي ترد في بعض النصوص الشرعية، بهدف التشكيك بالدين وأحكامه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «**سألته صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى**: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ} **فقال إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم**». (متفق عليه) .

وبعد هذه التوطئة عن مفهوم الفتوى ودلالتها، وعن مشارب المختلفين فيها، ننطلق بالإشارة إلى ما يشهده واقعنا المعاصر من اتجاهات ومواقف حيال الفتوى، من حيث مستواها ومضمونها ومصادرها وشروطها ومجالها وقضاياها، فهناك اتجاه هدفه معرفة الحقيقة والتوصل إلى الحكم الشرعي الصحيح، وضابطه التقيد بالأصول الشرعية

الخاصة بالفتوى، وعماده بذل الجهد في البحث عن إجابة السائلين، أو بيان حكم شرعي في الواقعة أو المسألة موضوع الفتوى، ومرتكزه الدليل الشرعي الصحيح ثم القواعد السليمة في استنباط الحكم الشرعي، وإصدار الفتاوى، إذ إن الاقتصار على الوقوف عند الدليل لا يكفي، إن لم تُتبع الطريقة الصحيحة في التعاطي معه، وحتى نقرب الصورة نضرب المثال الآتي : فلو أردنا عمل مربى من الفاكهة، فإن مجرد حصولنا على الفاكهة المرادة لا يوفر لنا المربى المطلوب، فلا بد من الدراية بكيفية عمل المربى، والشروع فعلاً بخطوات العمل، وفق الطريقة المنظمة والمعدة لعمل المربى المطلوب.

والفتوى تتعلق بالمسائل التي يطرحها الناس أو بالأحداث والوقائع التي يشهدها واقعهم، ويتساءل الناس أحياناً عن مواضيع الفتاوى التي يتصدى لها المفتون، لماذا هذه دون غيرها، لماذا الاهتمام والتركيز على محاور وأبعاد معينة وتجاهل غيرها.

وعند تحري الإنصاف والموضوعية في الإجابة عن هذه التساؤلات، تجدر الإشارة إلى عوامل عدة تؤثر في اختيار موضوع الفتوى ومستواها وحياديتها ودقتها العلمية، ومن تلك العوامل:

1 . المستوى العلمي للمفتي.

2 . قدرة المفتي على تحليل المواقف والأحداث وربطها بالحكم الشرعي المناسب.

3 . مدى إخلاص المفتي وصدق نيته، وبعده عن النفاق والخداع وكتم العلم، وجرأته على قول الحق، وعدم الرضوخ للطمع والتخويف.

4 . مدى إتاحة المجال للمفتي ليعبر عن رأيه دون ممارسة أية ضغوط فعلية أو تهديدية عليه، ليفتي حسب مصالح أو أهواء الجهات الضاغطة، أو ثنيه عن قول الحق، أو التعبير عن قناعته بالحكم المناسب.

5 . مدى تقدير الناس للفتوى واهتمامهم بها.

6 . المواضيع التي يطرحها الناس للفتوى.

فإذا وجد المفتي المؤهل دينياً وعلمياً وشخصياً، وأتيح له المجال ليصدع بفتواه المستنبطة

من الدليل الشرعي الصحيح، وفق الضوابط الشرعية التي تشترط في الفتوى والمفتي، فإننا سنشهد انقلاباً جذرياً في عالم الفتوى، يكون التركيز فيه على مستجدات الأمور، وعلى قضايا الناس ومشكلاتهم والمواضيع التي تثير اهتمامهم، دون الهبوط إلى درك الأمور وسفاسفها، وسينأى بالفتوى عن المجاذبات السياسية، وستحمى من المناكفات الحزبية والمذهبية، وستبرأ من الظهور بألوان الأطياف الحزبية أو السياسية أو المنفعية، وحينها تعود الثقة بالفتوى، وتصبح كما يرجى لها محط تقدير عامة الناس، واحترام خاصتهم واهتمامهم.

فالمسؤولية إذن لا تقع على عاتق المفتي وحده، رغم أنه لن يكون بحال من الأحوال في منأى عن تحمل نصيبه في الأسباب التي آلت إلى ما آل إليه واقع الفتوى في مجالي النجاح أو الفشل، فهو ركن أساس، ولكن المجتمع بأنظمته وقوانينه وسياسته وجماعاته وأحزابه وأفراده يشاركون كل بسهمه في تحمل المسؤولية عن ذلك.

وحتى لا تختلط الأمور والأوراق لا بد من إعلان البراءة الحقيقية من الفتاوى السخيفة والمنحرفة عن جادة صواب الشرع وأدلته، أياً كان مصدر تلك الفتاوى، فكل فتوى تنطلق من المزاجية وتتفلت من الضوابط المشروعة، وتتجاهل الأصول المقررة للفتوى، هي فتوى مرفوضة ولا تعبر بحال من الأحوال عن موقف الشرع الحنيف وحكمه، سواء صدرت من شخص أم هيئة أم حزب أم دولة، من عجم أم عرب، فهي مردودة على أصحابها، ومشجوبة من كل مخلص صادق غيور على حرمة الدين وقداسته، ومن كل حريص على تحري الحقيقة.

وتتعرض الفتوى بين الحين والآخر للبحث والتعليق والمتابعة من قبل وسائل الإعلام المختلفة، سواء من خلال عرض الفتاوى المثيرة، أم عن طريق التعقيب عليها وتحليلها وتبني مواقف منها وبناء عليها.

وبعض المغرضين يتربصون بالفتوى الدوائر، تربص مرضى القلوب بالدين الإسلامي وأركانه ومصادره ورموزه، فيسيحون في الأرض تتبعاً لعثرات المفتين، وسقطات الفتاوى،

مبتغين التشهير والطعن وإثارة الشبهات ونشر المكائد، ومن أساليبهم في ذلك الإتيان بمقاطع مبتورة من الفتاوى، تاركين تتماتها الموضحة، سعياً وراء إبراز مواضع الشبهة ومواطنها، ومخرجين النصوص بالبتر عن حقيقة دلالتها، على نهج من قرأ قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ...} وسكت دون أن يقرأ بقية الآية {وَأَنْتُمْ سُكَارَى}.

وما أكبر جرم المفتي الذي يتصدى للتركيز على هوامش القضايا، ويتجاهل أمهات الأمور، والطامات الكبرى التي تئن من ثقل عبئها الأمة، وتعاني من الاكتواء بنارها الإنسانية برمتها.

والمزاجيون يريدون الفتوى مفصلة على مقاييس أهوائهم، وملونة بأصباغ مذاهبهم، فيسخرون بالفتوى التي تحرم ما حرمه الشرع، ويستخفون بالتي تحل الحلال الذي جاء به الدين، إذا كان حرام الشرع وحلال الدين يتناقض مع ما ذهبوا إليه في الحل والتحريم.

ومن ناحية أخرى لا بد من الإشارة إلى أن بعض أصحاب صرعات الفتاوى يتجاوزون الخطوط الحمراء حين يقبلون لأنفسهم أن يكونوا مادة للاستخفاف والتندر، أو أبواباً لتسريب الطعن إلى دينهم وقيمهم، فاتحين الأبواب على مصاريعها للمتصيدين في المياه العكرة، غير آبهين بالضرر الذي يلحقونه بدينهم والطعن بأحكامه والهزء بأتباعه، والإساءة للدعوة إليه، ولو أن هؤلاء صدقوا دينهم لاتقوا الله في فتاويهم.

الهجرة النبوية وقيام الدولة الإسلامية

بقلم : الدكتور شفيق عياش / جامعة القدس

إن ذكرى الهجرة النبوية الشريفة من أحفل الذكريات الإسلامية الخالدة المليئة بالعبر والدروس، فقد كان لها أثر قوي في التمكين للدعوة الإسلامية ومن ثم في تطورها.

فكانت هجرته صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة نهاية لرحلة لقي فيها المسلمون بأسا شديدا؛ فصبروا وصابروا وضربوا أروع الأمثال في الصمود والبطولة والتضحية والفداء وقوة الاحتمال، حتى صارت بعد ذلك فاتحة عهد جديد، وعصر مشرق تجلى الله فيه على عباده المؤمنين بالسكينة والطمأنينة وفتح عليهم فتحا مبينا، ونصرهم نصرا عزيزا مؤزرا، إذ ترتبت على الهجرة أمور في غاية الأهمية، فالمسلمون بقيادة المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يهدأوا ولو للحظة واحدة بعد الهجرة عن نصرة دينهم، حيث عملوا بروح الفريق الواحد على تعبئة أفراد الأمة الإسلامية بروح الجهاد، وتأصيله في نفوسهم، وإبقائه حيا متوقدا في ضمائرهم، وأنشأوا مجتمعا إسلاميا سليما معافى من الضغائن والاحقاد، حيث اتجه تفكيره صلى الله عليه وسلم منذ البداية إلى غاية سامية نبيلة تعتبر حجر الزاوية الأساس في تكوين وبناء المجتمع المسلم فعمل على تكوين أسرة واحدة تحل محل الأوس والخزرج، وبني أمية، وبني عبد مناف، وغير ذلك من الأسر والقبائل، تلك هي أساس الإسلام مهما كانت قبائلهم وديارهم، فقام صلى الله عليه وسلم بعدة خطوات من أجل بناء المجتمع الإسلامي، وقيام الدولة الإسلامية

المرتقبة:

أولى هذه الخطوات بناء المسجد: وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة المسجد في الإسلام لما له من مكانة عظيمة، لأنه مصدر إشعاع فكري وتوجيه خلقي، ودعامة من دعامات العدل بين الناس، ومنبرا لقول الحق، دون رقابة من أحد، تكمم الأفواه، وتكتم الأنفاس، لتظل رسالة المسجد حية متوقدة في النفوس كما أرسى دعائمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

وهناك خطوة أخرى خطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل بناء دولة الإسلام وهي المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار: فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تآخوا أخوين أخوين ليذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ويؤنسهم عن مفارقة الأهل والعشيرة، وهو بهذا العمل يسبق علماء النفس الحاليين في علاج هذه النفوس لتأخذ حظها ونصيبها من الألفة والاستئناس، فشعر المهاجرون بالهدوء والسعادة وأحبوا أهل المدينة وتفانى الأنصار في حب إخوانهم المهاجرين وإكرامهم، بل لقد بلغ من شدة حبهم لهم أن الإمام البخاري رضي الله عنه روى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرحمن بن عوف، فقال سعد لعبد الرحمن: إني أكثر الناس مالا فأقسم مالي نصفين، بل لقد ذهب رضي الله عنه إلى أكثر من ذلك عندما قال له وعندي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها تتزوجها، فكان رد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بارك الله في أهلك ومالك، قال : أين السوق فدلوه على السوق، فما انقلب إلا ومعه فضل من الله.

نعم؛ هذه هي الأمة التي وحد بينها الإسلام، هذا هو الجيل الذي رباه محمد صلى الله عليه وسلم على العمل والكفاح، فهل لنا في هذه الديار المباركة أن نأخذ العبرة من ذلك

ونوحد صفوفنا ونتناسى خلافاتنا ونضمد جراحاتنا ونجتهد حتى نحقق لديننا وبلادنا المقدسة ما نصبوا إليه، قال تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ)(1).

فالرسول صلى الله عليه وسلم وصل المدينة المنورة ومن جملة ما رأى أن الناحية الاقتصادية بيد الأعداء وقاتلي الأنبياء، وإنهم يملكون السوق التجارية في المدينة المنورة، ويتلاعبون بالأسعار ويتحكمون بالسلع ويحتكرونها ويستغلون حاجة الناس، فيرابون عليهم أضعافا مضاعفة، فكان لا بد من خطة ناجحة للاستيلاء على النظام الاقتصادي، فوضع له صلى الله عليه وسلم الأساس المتين لتحقيق العدالة بين الأفراد في المجتمع المسلم حتى الأغنياء، وحث على التعاون والبر وجعل الإحسان إلى الفقراء كفارة للخطايا والذنوب، كما أنه صلى الله عليه وسلم بنى سوقا للمسلمين وبسرعة فائقة، فأخذ الناس يتعاملون مع المسلمين في سوقهم ولمسوا منهم الاعتدال في كل شيء؛ في الصدق والأمانة، في البيع والشراء، لا احتكار، ولا ربا، ولا تلاعب في الأسعار.

بهذا استطاع المسلمون أن يسيطروا على الاقتصاد في المدينة، وبهذه الخطوات جميعا وضع نواة الدولة الإسلامية في المدينة بعد هجرته إليها.

حقا، إن ذكرى الهجرة النبوية كفيلة بأن تحرك فينا دواعي الأمل والرجاء، وتنفض عنا غبار اليأس، وتملأ قلوبنا إيمانا ويقينا وثقة فيما عند الله سبحانه وتعالى من جزاء للصابرين المرابطين المجاهدين، ولو انتفع المسلمون بدروس الهجرة وحولوها إلى عمل إيجابي؛ لقادتهم إلى الحياة الكريمة، ومكنتهم في أرضهم أرض الآباء والأجداد، وأعادت إليهم مجد سلفهم الصالح، ويؤمئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وصدق الله العظيم القائل: (وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (2).

إن الله سبحانه وتعالى شرفنا حيث اختصنا بسكنى هذه الديار والمرابطة فيها، فلنكن حراسا لأرضنا وسدنة لمقدساتنا ولنقابل الأحداث التي تمر بنا ببصيرة وعقل وتفكر ولنتحلى بالصبر، فإننا محتاجون إليه بعد أن قست منا القلوب، وفترت الهمم، وعميت الأبصار وانحرفنا عن تحكيم شرع الله، فما أحوجنا إلى مثل هذا السلاح، سلاح الصبر وقد داهمتنا الخطوب وتوالت علينا المصائب، وتألب علينا الأعداء، وتنمر في أرضنا الأذلاء واستنسر في وطننا البغاة، ما أحوجنا إلى أن نفيء إلى أمر الله، ونرجع إلى الحق ونطهر قلوبنا وأرواحنا، ونحاسب نفوسنا على ما فرطت في حق الله حتى ضاع مجد الأمة وانتكست أحوال أبنائها.

ففي أوقات الشدة تسرع الأمم الراغبة في النجاة إلى مسالك النجاة، وتتمسك بأسبابها وإن وطننا الغالي يجتاز مرحلة مصيرية صعبة، حيث العدو جاثم على صدورنا، وينتظر فرص الغدر بنا، ويحاول تشتيت وحدتنا، وأنتم يا أبناء شعبنا تعلمون ما يريده لنا من تخريب للديار وتفريغ للأرض وتفريق للأسر، فلنكن على حذر منه ومما يدبره لنا، ولنحافظ على وحدة الصف، ولنعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، وأن العاقبة للمتقين، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

هوامش :

1. سورة الأنفال آية 60.
2. سورة الروم آية 47.

أضواء على زواج المسيار

بقلم: الدكتور إسماعيل نواهضة / خطيب المسجد الأقصى المبارك وأستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة القدس

نشأة مصطلح زواج المسيار :

من الواضح أن كلمة المسيار ليس لها وجود في اللغة العربية ولا في كتب الفقهاء الأصيلة، وإنما هي كلمة درجت على ألسنة الخليجيين، يقصد بها المرور وعدم المكث الطويل والتسيير بمعنى السير إلى المرأة من ناحية ، ومن ناحية أخرى إدخال السرور عليها.

ومسيار صيغة مبالغة يوصف بها الرجل كثير السير، فيقال: رجل مسيار وسيار، وسمي به هذا النوع من الزواج لا يلتزم بالحقوق الزوجية التي يلزمه بها الشرع، فكأنه زواج السائر الماشي الذي يتخفف في سيره من الأثقال والمتاع، ولعدم التزامه بالحقوق التي يقتضيها الزواج من النفقة والمبيت، لا الزواج المقيم الملتزم بكل مقتضيات الزواج(1).

حقيقته: من خلال شيوع الحديث عن هذا النوع من الزواج من قبل العلماء المعاصرين أمثال الشيخ القرضاوي والشيخ عبد الله بن منيع عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية وغيرهما : أن زواج المسيار من أنواع الزواج المعاصرة مستكمل لجميع أركان الزواج الشرعي وشروطه ، حيث يتم بالإيجاب والقبول وموافقة الولي وحضور الشاهدين، وتسمية المهر المتفق عليه. وبعد تمامه تثبت لكلا الزوجين جميع الحقوق المترتبة على عقد الزوجية من حيث النسل، والإرث، والعدة، والطلاق، واستباحة البضع، والسكن، والنفقة، وغير ذلك من الحقوق والواجبات إلاّ أن الزوجين قد ارتضيا واتفقا ألا يكون للزوجة حق المبيت أو القسم ، وإنما الأمر للزوج متى رغب بزيارة زوجته المسيار في أي ساعة من ساعات اليوم والليلة فله ذلك، وقد تلزم الزوجة

الزوج بالمبيت والنفقة إن طلبت ذلك، وهذا الزواج يساعد من لم تتزوج مبكراً أو العانس على الحصول على زوج(2).

ظهوره : ظهر هذا الزواج لأول مرة – كما قال أحمد التميمي– في منطقة القصيم، ثم انتشر في المنطقة الوسطى، ويبدو أن الذي ابتدع الفكرة رجل يدعى فهد الغنيم، وهو وسيط زواج، لجأ إليه لتزويج النسوة اللاتي لم يحالفهن الحظ في الزواج، أو المطلقات اللاتي أخفقن ولم يوفقن في زواج سابق. ثم انتقل هذا النوع من الزواج إلى بلدان الخليج ، وبعدها إلى بعض البلدان العربية والإسلامية.، وذكر الباحث رائد عبدالله بدير أن زواج المسيار ظهر في فلسطين أيضاً لا من حيث الإسم والشهرة فقط ولكن من حيث التطبيق، فقال : « عرفت أشخاصاً معرفة شخصية تزوجوا مسياراً، وقد سألت إحدى الزوجات اللواتي تزوجن مسياراً، هل حقاً أنك تنازلت عن حقوقك الشرعية كافة ؟ فأجابت دون تردد: نعم، لا أريد شيئاً من زوجي، وكل حلمي في الدنيا أن يكون لي زوج وأن يرزقني الله سبحانه وتعالى بطفل واحد، ولا أريد نفقة ولا مهراً ولا حتى أن يبيت عندي، وله أن يبيت سبعة أيام في الأسبوع عند زوجته الأولى، وهو يمر علي كل يوم خميس ساعتين أو ثلاثة فقط، وحتى هذه الساعات هو غير ملزم بها، وسألتها مما تعتاشين؟ قالت: من راتبي الشهري الخاص بي، ولا أكلف زوجي شيئاً. والغريب في الأمر أنني سألت زوجته الأولى عن زواج زوجها زواجاً مسياراً؟ فأجابت: أنا كنت رافضة زواجه ابتداءً ولكنه حين أصرّ وعلمت أن لا حول لي ولا قوة في منعه، وافقت أن يتزوج مسياراً، بل سعيت أن يتزوج مسياراً، لأن زواج المسيار يصب في صالحي، وخاصة أن زوجي مصر على الزواج فهو أخف علي من الزواج العادي. هذه وجهة نظر الزوجة الأولى، وهذه وجهة نظر الزوجة الثانية المتزوجة مسياراً (3).

أقول: تبقى وجهة نظر لهاتين الزوجتين فقط، ولا نستطيع التعميم، وخاصة أن لهذا الزواج سلبيات واضحة سأذكرها.

دوافعه عند كل من المرأة والرجل : إن المتتبع للحالات التي يتم عن طريقها زواج

المسيار يجد لها دوافع داخلية وخارجية لكل من المرأة والرجل.

وتتمثل أبرز هذه الدوافع عند المرأة بعدم حصولها على الزواج الشرعي المتعارف عليه بسبب كبر سنها أو موت زوجها عنها أو طلاقها أو غير ذلك، فتجد هذه المرأة ضالتها المنشودة في هذا النوع من الزواج، إذ أنه يحقق لها العفة والطهارة وذلك بإشباع رغباتها الجنسية، في ظل ظاهرة انتشار المغريات والفتن في كل مكان، وعبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وشبكات الإنترنت، إضافة إلى رغبتها في إنجاب أطفال تسعد بهم وتصبح أماً وهذا أمر فطري..

وأما دوافعه عند الرجل فتتمثل بعدم اكتفاء بعض الرجال بزوجة واحدة ، أو بسبب عدم تمكن بعضهم من الزواج حسب الطريقة المتعارف عليها في مجتمعاتنا نظراً لارتفاع تكاليف الزواج ومتطلباته، أو بسبب غياب بعضهم عن زوجاتهم مدة طويلة فيخشى هذا الصنف من الرجال من الانحراف والوقوع في مهاوي الرذيلة وارتكاب الفاحشة، أو بسبب الرغبة في إنجاب الأطفال إذا كانت الزوجة الأولى لا تنجب.

شروط زواج المسيار: نستطيع القول: بأن شروطه هي نفس شروط الزواج الشرعي المتعارف عليها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. مع احتفاظ الزوج بحق القوامة فهي ثابتة بالكتاب والسنة ، وإن تعليل ثبوت القوامة بموضوع الإنفاق على الزوجة من قبل الرجل أمر مردود.

سلبيات زواج المسيار: تتمثل أبرز هذه السلبيات بعدم الإحساس والشعور بالطرف الآخر، وضعف أهم عناصر الحياة الزوجية من المودة والرحمة والسكينة والطمأنينة وتحمل أعباء الحياة من قبل الطرفين. كما تتمثل بغياب الزوج فترة طويلة عن البيت مما يترتب عليه أضرارٌ اجتماعية ودينية ونفسية وأخلاقية. وخاصة إذا كان هذا الزواج بالسر، وفي هذه الحالة سيضطر الزوج إلى الكذب على زوجته الأولى وعلى أولاده. كما أن هذا النوع من الزواج يحرم الأبناء من حقوقهم المعنوية، ومن عاطفة الأب وحنانه. وقد يحرمهم من حقوقهم المادية كالميراث، فأولاد الزوجة الأولى قد لا يعترفون بهذا

الزواج في حالة كونه حصل بالسر.

أقوال العلماء في هذا النوع من الزواج:

اختلف العلماء المعاصرون في الحكم الشرعي لزواج المسيار، فمنهم من قال بالتحريم لسرية العقد في الغالب، أو للأضرار المترتبة عليه، ولمخالفته مقاصد الإسلام من وراء مشروعية الزواج، ومنهم من قال بالإباحة المطلقة لاستيفائه الشروط الشرعية المطلوبة لاجراء عقد الزواج الصحيح، ومنهم من قال بالكراهة وهو خلاف الأفضل، والسماح به عند الحاجة مع الكراهة، لمخالفته كثيراً من السنن الشرعية في الزواج المتعارف عليه، ولمخالفته عقد الزواج المتعارف عليه بتنازل الزوجة عن حقوقها الشرعية ولو كان برضاها. وهذا ملخص لأبرز أقوال هؤلاء العلماء:

1. قال الشيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله تعالى- :

« لاحرج في زواج المسيار إذا استوفى الشروط المعتبرة شرعاً، وهي وجود الولي ورضا الزوجين ، وحضور شاهدين عدلين على إجراء العقد، وسلامة الزوجين من الموانع، لعموم قول النبي- صلى الله عليه وسلم- : (إن من أحق الشروط أن يوفى ما استحللتم به الفروج)(4). وقوله – صلى الله عليه وسلم- : (المسلمون عند شروطهم)(5).فإذا اتفق الزوجان على أن المرأة تبقى عند أهلها ، أو على أن القسم يكون نهاراً لا ليلاً، أو في أحد أيام معينة، فلا بأس بذلك بشرط إعلان النكاح وعدم إخفائه.»(6).

2 . و يقول الشيخ القرضاوي : «أنا لست من محبذي زواج المسيار و لم أخطب خطبة أقول للناس فيها: أيها الناس تزوجوا زواج المسيار، و لم أكتب مقالا أدعو الناس فيه إلى زواج المسيار، و عندما سئلت عن زواج المسيار فلا يسعني إلا أن أجيب بما يفرضه علي ديني، و لا أستطيع أن أحرم شيئا أحله الله تعالى، فهذا زواج فيه العقد و الإيجاب و القبول و الولي و الشهود، و هو الحد الأدنى من الإشهار في الإسلام، فكيف يسع الفقيه أن يقول عن هذا الزواج إنه حرام، قد لا يقبله المجتمع، و هنالك فرق بين أن يكون الزواج مقبولا اجتماعيا، وبين أن يكون مباحا شرعا، فلو تزوجت امرأة خادمها

أو سائقها فهذا أمر مرفوض اجتماعيا، و لو حصل الزواج مستوفيا لأركانه و شروطه فهو مستنكر اجتماعيا و شرعا هو حلال، و هذه قضية في غاية الخطورة مسألة حلال وحرام، ينبغي للعالم الذي يخشى الله تعالى و يحرص على دينه و لا يهمه إرضاء الناس، ولا أستطيع أن أقول عن الشيء حرام، إلا إذا كان عندي من الأدلة ما يجعلني أقول إن هذا حرام، و أقول إن الزواج قد يرفضه المجتمع مثل زواج الصغيرة من رجل كبير، و زواج المرأة الكبيرة من شاب صغير، فعملية الحل و الحرمة ليست هينة.» (7)

3 . **و يقول الشيخ عبدالله بن منيع** عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية والقاضي بمكة المكرمة: (الذي أفهمه من زواج المسيار، و أبني على فهمي ما أفتي به حوله إنه زواج مستكمل لجميع أركانه و شروطه، فهو زواج يتم بإيجاب و قبول، بشروطه المعروفة من رضا الطرفين. و الولاية، و الشهادة، و فيه الصداق المتفق عليه، ولا يصح إلا بانتفاء جميع الموانع الشرعية، و بعد تمامه تثبت لطرفيه جميع الحقوق المترتبة على عقد الزوجية من حيث النسل، و الإرث، و العدة، و الطلاق، و استباحة البضع، و السكن، و النفقة، و غير ذلك من الحقوق و الواجبات، إلا أن الزوجين قد ارتضيا واتفقا ألاّ يكون للزوجة حق المبيت أو القسم، و إنما الأمر للزوج متى رغب زيارة زوجته المسيار في أي ساعة من ساعات اليوم والليلة فله ذلك) (8)

4. **ويقول الشيخ د. سيد طنطاوي** : «إن زواج المسيار شرعي تتوافر فيه أركان الزواج».(9)

5. **يقول د. نصر واصل مفتي الديار المصرية**: « المسيار زواج تتوافر فيه أركان العقد الشرعي و شروطه من إيجاب و قبول و شهود و ولي و هو زواج موثق » (10)

وقد عقب الباحث رائد بدير على هذه الأقوال بقوله: (والملاحظ من أقوال هؤلاء وغيرهم أن زواج المسيار مباح، لا يمكن القول بمنعه حيث لا دليل على ذلك و لا تحريم إلا بدليل»(11). ولكن من الملاحظ أيضاً أن الدكتور القرضاوي لا يحبذه للسلبيات المترتبة عليه، وإن كان يقول بعدم تحريمه. وهذا ما أميل إليه وأقول: ما المانع من إعلان هذا الزواج وإشهاره ما دامت النية حسنة والقصد هو الزواج الشرعي فأنا حقيقة

لست مقتنعاً مطلقاً بسريته .

6 . **قيل: إن الشيخ محمد صالح العثيمين** أيد هذا الزواج أولاً ثم تراجع عنه خشية الآثار الاجتماعية التي يسببها، فقد قال: « إن زواج الرجل في أربع مدن مسياراً قد يجعل للزوج أبناء لا يعلم عنهم شيئاً » كذلك قال الدكتور عجيل النشمي بأن "زواج المسيار فاسد"(12).

7 . **قال د. علي القرداغي** في مداخلته حول زواج المسيار على الجزيرة نت:

«أنا في اعتقادي أن هذا الزواج ليس على فنن واحد، ولا بد من تحرير محل النزاع في زواج المسيار، فعقد النكاح ليس كبقية العقود، ولذلك الإمام القرافي في كتابه بيّن عدة فروق جوهرية بين عقد الزواج وعقود أخرى، فليس الأصل في اعتقادي في عقد النكاح هو الإباحة، وإنما الأصل في عقد النكاح الالتزام بما ورد فيه، فإذا نظرنا إلى هذا الزواج نجد أنه لا يتوافر فيه مقاصد الشريعة الإسلامية من حيث السكن الروحي، وتكوين الأسرة، وتربية الأسرة، وتوجد مسائل مخالفة للشريعة، وهذه المخالفات تكمن في الشروط، وشروط التنازل عن النفقة أو حق المبيت، في اعتقادي أنها تدخل ضمن التنازل عن مقتضيات عقد الزواج، والنصوص الفقهية تشير إلى أهمية هذه الشروط خاصة النفقة والمبيت واعتبروها ضمن مقتضيات عقد الزواج . هناك فرق بين أن يثبت الحق للمرأة ثم تتنازل عنه لأي مصلحة من المصالح، وفرق بين أن يكون هناك فرض أو اشتراط من قبل الزوج على الزوجة، وهناك نصوص فقهية موجودة في كتاب الحاوي للماوردي يقول:

لو اشترط الزوج على الزوجة إلغاء حق المبيت بطل عقد النكاح على أحد الوجهين، وهذا موجود في كتاب الحاوي؛ فلذلك نرى حقيقة هذا العقد ليس من العقود التي ينبغي أن يفتى بها الفتاوى العامة ، وفي غالب زواج المسيار السر، وزواج السر باطل عند المالكية، وحتى يحد الزوج والزوجة، ويفسخ العقد عندهم وحتى لو وجد شهود، وفي بعض الأحيان زواج المسيار ليس فيه ولي فيكون باطلاً لذا لا ينبغي أن يفتى به

فتوى عامة.» (13).

ومن خلال استعراض أقوال هؤلاء العلماء المعاصرين والتدقيق فيها يتبين لنا ترجيح كفة إباحته ضمن الضوابط الشرعية المحددة والمبينة في كتب الفقه، وإن كنت أميل وأفضل أن يشهر هذا النوع من الزواج أمام المجتمع، وبخاصة أمام زوجة وأفراد أسرة الزوج، لأن من شأن ذلك أن يبعد الخلافات والخصومات من بين عائلة الزوج والله تعالى أعلم.

المصادر والهوامش

1 . أنظر مستجدات فقهية في قضايا الزواج والطلاق. أسامة الأشقر. دار النفائس. ط: الأولى- 2000م ص: 161، وزواج المسيار حكمه وحقيقته في موقع الجزيرة نت، برنامج الشريعة والحياة. تاريخ 1998/5/3م.

2 . مجلة الأسرة عدد: 46. ص: 15. الشيخ عبدالله بن منيع.

3 . مسميات الزواج المعاصر بين الفقه والواقع والتطبيق القضائي. رائد عبد الله بدير. ص: 59 نقلاً عن مجلة الأسرة. عدد: 46. ص: 11.

4 . رواه البخاري في صحيحه 2/ 970. ورواه الإمام مسلم 3/ 1035.

5 . رواه الترمذي في السنن 3/634. دار إحياء التراث العربي ببيروت، وأبو داود في السنن 242/2.

6 . جريدة الجزيرة . ابن باز . عدد : 8768 - 1417هـ. وانظر كتاب فتاوى علماء البلد الحرام.

7 . زواج المسيار حكمه وحقيقته. د. يوسف القرضاوي، وموقع الجزيرة نت، برنامج الشريعة والحياة. حلقة عن زواج المسيار. تاريخ: 1998/5/3م.

8 . لقاء منشور في مجلة الأسرة. عدد : 46. ص:15.

9 . نقلاً عن جريدة القدس الصادرة بتارخ : 1998/5/27م. ص: 14.

10 . مجلة أريج عدد : 21 . ص: 23.

11 . أنظر مسميات الزواج المعاصرة بين الفقه والواقع. رائد عبد الله بدير ص: 109.

12 . مجلة أريج عدد: 21. موقع الجزيرة نت. الحلقة المشار إليها آنفا.

13 . موقع الجزيرة نت. الحلقة المشار إليها آنفا.

عمدة البراهين في تأثيم المحتكرين

بقلم : الشيخ أحمد خالد شوباش / مفتي محافظة نابلس

في هذا البحث أقدم للقراء أدلة العلماء في تحريم الاحتكار من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ، كما أضيف إليها الأدلة العامة التي تحرم الإضرار بالناس ودليل العقل في بيان جريمة الاحتكار والنهي عنها ، مذكراً بعلّة التحريم .

تعريف الاحتكار :

الاحتكار : هو حبس ما يحتاج إليه الناس بهدف الغلاء . وقد اتفق الفقهاء من جماهير أهل العلم على القول بحرمة الاحتكار، وقال الحنفية بالكراهة التحريمية وهو كالحرام في الترك، إلا أن الفرق في الاعتقاد.

أدلة العلماء في التحريم :

أولاً: من القرآن الكريم

1 . استدلوا بعموم قوله تعالى : (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) (الحج: 25) (1) ، وقالوا : إن رسول الله ﷺ قال :(احتكار الطعام بمكة إلحاد) (2).

وهذا التفسير واحد من أقوال متعددة في الآية ، منها؛ أن الإلحاد الشرك بالله، ومنها استحلال الحرام أو فعل أي شيء منهي عنه حتى شتم الخادم ، وإن كانت هذه الأشياء من الإلحاد ولكن هو أعم من ذلك (3).

2 . و بعموم قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً

عَن تَرَاضٍ مِنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً } (النساء:29).

3 . وبقول الله تعالى : { وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (البقرة:188).

ووجه الدلالة : أن هاتين الآيتين الأخريين قد نهتا عن أكل أموال الناس بالباطل ، والاحتكار أكل لأموال الناس بالباطل ، والنهي للتحريم فيكون الاحتكار حراماً .

ثانياً: من السنة

فقد استدلوا بالأحاديث التالية :

1 . عن سعيد بن المسيب أن معمر بن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (لا يحتكر إلا خاطئ)، وفي رواية (من احتكر فهو خاطئ) (4).

ويتعلق بالحديث مسائل عدة :

أولاً: إن الحديث جاء بلفظ (من احتكر فهو خاطئ) فهذا مبتدأ وخبر ، وجاء بلفظ (لا يحتكر إلا خاطئ) ومعلوم أن الاستثناء من النفي إثبات والعكس صحيح، فيكون المعنى: من احتكر فهو خاطئ .

ثانياً: إن هذا الحديث هو عمدة الأحاديث الواردة في النهي عن الاحتكار وأصحها.

ثالثاً: إن الخطأ في الحديث ليس بمعنى الخطأ غير المقصود ، وإنما يعني الإثم والمعصية، فيكون المعنى أن من احتكر فهو آثم عاصٍ ، ولا شك في أن التعبير بالمعصية يفيد حرمة الفعل الذي يوصف فاعله بها . دل على ذلك قول الله تعالى : { إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً} (الإسراء:31) وقال تعالى : { إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ}(القصص:8).

قال ابن الأثير : (قد تكرر ذكر الخطأ والخطيئة في الحديث ، يقال خَطأ في ذنبه خِطأً إذا أثم فيه والخِطء : الذنب والإثم) (5) .

رابعاً : اعترض الحاكم النيسابوري على الحديث بأنه لا يصح ، لأنه لم يرو عن معمر غير تابعي واحد، قال : حديث (لا يحتكر إلا خاطئ) أحد ما ينقض عليه أن لا

يصح حديث صحابي لا يروي عنه تابعيان فإن معمراً هذا ليس له راوٍ غير سعيد بن المسيب(6) .

وقد يسر الله لي بفضله وكرمه الرد على هذا ، فأقول وبالله التوفيق :

أ- إن هذه الدعوى تخالف قول الجمهور ، ولم يقل أحد بالاشتراط لصحة الحديث أن يروي عن الصحابي تابعيان غير الجبائي ، فإنه قاس الخبر على الشهادة، وقياسه باطل لأن الشهادة تخالف الرواية في أشياء كثيرة (7).

ب- على فرض صحة هذا الشرط ، فإن معمرا ﷺ قد روى عنه اثنان ، أحدهما سعيد الذي روى حديث الاحتكار ، والثاني بسر بن سعيد الذي روى عنه قول النبي ﷺ : (الطعام بالطعام مثلاً بمثل) (8).

خامساً : قد ذكر عبد الرازق في مصنفه زيادة على الحديث ، قال أخبرنا ابن جريج والأسلمي عن أبي سعيد بن نباتة عن نعيم المجمر عن ابن المسيب أنه قال : لو رأيت معمر بن عبد الله العدوي وهو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يحتكر إلا خاطئ) قال ابن المسيب : فقلت له : فإنك تحتكر ، قال : أستغفر الله (9).

وهذه الزيادة لم أرها في غير هذا الكتاب فيما اطلعت عليه من الكتب التي روت الحديث أو ذكرته ، وهي زيادة تستدعي الدراسة والبحث ، فإن معمراً ينكر أن يكون محتكراً – ولو حسب اللفظ – أو لعله قالها استهجاناً.

وعند دراسة سند الحديث عند عبد الرزاق، لم أعثر على أبي سعيد بن نباتة والأسلمي، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ابن جريج مع أنه ثبت صحيح وهو أحد الأعلام الثقات وروى له البخاري إلا أنه يدلس.

قال الدارقطني : تجنب تدليس ابن جريج فإنه قبيح التدليس لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح ، وكان يرسل بعض الأحاديث الموضوعة لا يبالي من أين أخذها ، يقول : أُخبرت، حُدثت ، وهذا قول عامة أهل الحديث (10).

2 . استدلوا بحديث عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال :(الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) (11).

واللعنة التي تلحق المحتكر ليست اللعنة التي يستحق بها الملعون الخروج من رحمة الله ، وإنما تعني الإبعاد عن درجة الأبرار . لأن الإبعاد عن رحمة الله لا يكون إلا في حق الكفار ولا يكفر العبد بالاحتكار ولو كان من الكبائر. (12)، ولا داعي لهذا التأويل ، فإن الحديث لم يثبت فلا تعارض .

3 . وعن عمر بن الخطاب ﷺقال : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : من احتكر على المسلمين طعامهم، ضربه الله بالجذام (13) والإفلاس (14)) (15).

4 . وعن أبي أمامة ﷺ قال : (نهى رسول الله ﷺ أن يحتكر الطعام) (16) .

5 . وعن معقل بن يسار ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من أدخل شيئاً في أسعار المسلمين ليغلّي عليهم كان حقاً على الله أن يقذفه في معظم (17) جهنم) (18) .

6 . وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ : (من احتكر طعاماً أربعين يوماً فقد برئ من الله تبارك وتعالى ، وبرئ الله تبارك وتعالى منه) (19). والبراءة تعني : الخذلان وهو ترك النصرة عند الحاجة (20).

7 . وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من احتكر حُكرة يريد أن يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ) (21).

قال الشوكاني :(ولا شك أن هذه الأحاديث تنهض بمجموعها للاستدلال على عدم جواز الاحتكار، ولو فرض عدم ثبوت شيء منها في الصحيح فكيف وحديث معمر المذكور في صحيح مسلم)(22).

ثالثاً : من آثار الصحابة والتابعين

1. روى مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب ﷺ قال : (لا حُكرة في سوقنا ، لا يعمد

رجال بأيديهم فضول من أذهاب (23) إلى رزق من رزق الله نزل بساحتنا ، فيحتكرونه علينا ، ولكن أيما جالب جلب على عمود كبده (24) في الشتاء والصيف فذلك ضيف عمر، فليبع كيف شاء الله وليمسك كيف شاء الله) (25) .

2 . وعن عمر ﷺ أنه قال: (من جاء أرضنا بسلعة فليبعها كيف شاء، وهذا سوقنا ولا يبع في سوقنا محتكر) (26).

3 . وقال عمر : (احتكار الطعام بمكة إلحاد بظلم) (27) .

4 . وقال مالك : (بلغني أن عثمان بن عفان ﷺ كان ينهى عن الحكرة) (28).

5 . وعن علي بن أبي طالب ﷺ أنه أحرق طعاماً كان قد احتكر(29)، قال أبو محمد – أي ابن حزم – : (وهذا بحضرة الصحابة ، ويلزم من شنع بمثل هذا أن يأخذ به) (30).

6 . وعن الحسن البصري أنه قال : (إنما المحتكر من اعترض السوق فيشتري منه ، والذي يجلب لا بأس به ليس بمحتكر) (31). وهو قول الأوزاعي (32).

7 . وعن يزيد بن ميسرة الكندي ، أنه كان يقول : (ما أحب أن أكون نخّاسا (33)، ولأن أكون نخّاساً أحب إليّ من أن أجمع الطعام بعضه ببعض أتربص به الغلاء على المسلمين) (34).

فالملاحظ من أقوال الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – أنهم نهوا عن الاحتكار وذموه واجتنبوه وشنعوا على فاعله، لما فيه من أضرار تعود على الأمة .

رابعاً : وبالمعقول

1 . قالوا : إن الاحتكار ظلم والظلم حرام ، ذلك أن ما بيع بالمصر فقد تعلق به حق الناس ، فإذا امتنع البائع عن بيع ما لديه مع شدة حاجة الناس إليه فقد منعهم حقهم ، ومنع الحق عن المستحق ظلم، والظلم حرام (35).

2 . إن الجزاء المذكور والمتوعد به كل محتكر من اللعن وبراءة الله سبحانه والخطيئة

والقذف في النار وغير ذلك لا يلحق إلا بمن ارتكب الحرام (36).

3 . إن الاحتكار مضر بالناس ، وذلك نتيجة شح السلع في السوق وندرتها وارتفاع ثمنها، والإضرار بالناس حرام، لأنه إبطال لحقهم(37).

4 . وقال بعض المُحَدثين: إن الاحتكار تكسب بالانتظار الخبيث فهو كالربا(38).

ويمكن أن أشير إلى خلاصة الأدلة السابقة، وبعض القواعد العامة في تأكيد حرمة الاحتكار:

1 . قوة الأدلة النقلية والعقلية ، وهو ما يتفق مع حماية الناس ودفع الضرر عنهم ، وهذا ما يناسب روح الشريعة الإسلامية .

2 . قاعدة (لا ضرر ولا ضرار) (39) التي تقضي بحرمة الاحتكار لما فيه من الإضرار بالمجتمعات .

3 . مبدأ سد الذرائع (40) القاضي بتحريم كل ما يتوصل به إلى الحرام، وفي التدليل على هذا المبدأ يقول ابن القيم (41): إنه نهى عن الاحتكار – أي النبي ﷺ– وقال: (لا يحتكر إلا خاطئ) فإنه ذريعة على أن يضيق على الناس أقواتهم ، ولهذا لا يمنع من احتكار ما لا يضر الناس .

4 . أن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة ، وإباحة الاحتكار يعني : تقديم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة(42) .

5 . إن المال المحتَكَر وإن كان ملك المحتكِر، فإن للدولة سلطاناً في تقييد التصرف فيه وفق ما تقرره أحكام الشريعة في تقييد الملكية (43).

6 . إن العلة في تحريم الاحتكار الإضرار ، والإضرار حرام .

تفريع : علة تحريم الاحتكار

لعل من المناسب هنا وقد رجحت القول بتحريم الاحتكار أن أشير إلى علة التحريم. ومن المعلوم أن الشرع الإسلامي لا يحرم شيئاً إلا وفيه مفسدة وضرر غالب يعود على

الفرد أو المجتمع ، والإضرار بهما غير مشروع وفق القاعدة الشرعية (لا ضرر ولا ضرار) ، ولهذا نهى الشارع عن كل ما فيه مفسدة وأنكره .

والاحتكار – باعتباره حراماً وواحداً من المحرمات – لا بد فيه من علة تجعله محرماً.

قال العيني في بيان هذه العلة (44) : (علة كراهة الاحتكار : التضييق على الناس) وقال في موضع آخر (45) : (وفي الامتناع عن البيع إبطال حقهم وتضييق الأمر عليهم، فيكره إذا كان يضر بهم ذلك – أي الحبس والاحتكار – بأن كانت البلدة صغيرة ، وبخلاف إذا لم يضر بأن كان المصر كبيراً ، لأنه حابس ملكه من غير إضرار بغيره، لأن العلة هي الإضرار) .

وعليه فإن العلة هي الإضرار ، وحيثما كان حبس السلع ضاراً كان احتكاراً محرماً ، وإن انعدم الإضرار لم يكن محرماً. قال النووي (46) : (والحكمة من تحريم الاحتكار رفع الضرر عن عامة الناس)، فعبَّر عن العلة بالحكمة . وهذا ما يفهم من المذاهب (47) ، وإن لم ينصوا عليه صراحة ، وحيثما وجد الإضرار كان الاحتكار حراماً. قال الشوكاني (48) : (والحاصل أن العلة إذا كانت هي الإضرار بالمسلمين لم يحرم الاحتكار إلا على وجه يضر بهم، ويستوي في ذلك القوت وغيره، لأنهم يتضررون بالجميع) .

المراجع

(1) الاختيار ج4 ص 160 .

(2) رواه أبو داود في السنن ، كتاب المناسك، باب تحريم مكة، برقم 2020 ج2 ص 212، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج4 ص351 – 352، وذكره ابن كثير في تفسيره ، ج3 ص237 كلهم عن الصحابي يعلى بن أمية . قال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة جعفر بن يحيى بن ثوبان : هذا الحديث واهي الإسناد وهو من مناكيره ج2 ص 151 .

(3) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ج3 ص 238 .

(4) رواهما مسلم،كتاب المساقاة،باب تحريم الاحتكار في الأقوات،ج3 ص 1227 – 1228.

(5) النهاية في غريب الحديث والأثر ج2 ص 44 .

(6) المستدرك على الصحيحين ج2 ص 14 .

(7) روضة الناظر وجنة المناظر ، ابن قدامة 216 .

(8) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ابن عبد البر ج3 ص 1443 .

(9) مصنف عبد الرزاق ج8 ص 203–204 حديث رقم 14890 .

(10) تهذيب الكمال، المزي ج18 ص 338 الترجمة 3539، تهذيب التهذيب ابن حجر ج6 ص 402 .

(11) رواه ابن ماجة في سننه ، كتاب التجارات باب الحكرة ، ج2 ص 728 برقم 2153 ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ، وقال : أعله البخاري بعلي بن سالم ، كتاب البيوع باب الحكرة ج 6 ص 30 ، وقال العجلوني في كشف الخفاء ج1ص 329 : سنده ضعيف ، وفي نيل الأوطار ج5 ص 221 ضعيف .

(12) حاشية ابن عابدين ج5 ص 255 .

(13) الجذام : من الفعل اللازم جذم ، وأصله القطع وهو داء معروف يعترض في الرأس يتشوه منه الوجه. النهاية، ابن الأثير ج1 ص 251 ، غريب الحديث، الهروي ج3 ص 48 .

(14) الإفلاس: مصدر الفعل أفلس، وأفلس الرجل إذا لم يبق له مال وصارت دراهمه فلوساً أو لم يبق له مال . النهاية ج3 ص 470 . قال النووي : خص الله المحتكر بالجذام والإفلاس لأن المحتكر أراد إصلاح بدنه وكثرة ماله فأفسد الله بدنه بالجذام وماله بالإفلاس ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ج6 ص 35 .

(15) رواه أحمد في مسنده ، ج1 ص 21 ،وابن ماجة في السنن ، كتاب التجارات باب الحكرة، برقم 2155 .

(16) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، فصل في ترك الاحتكار برقم 11212 ، ج7 ص 524، والحاكم في المستدرك ج2 ص 14 وقال : حديث أبي أمامة ليس بذاك اللفظ .

(17) وفي رواية بِعُظم ، وهو المكان العظيم من النار ، ينظر : النهاية ج3 ص 260 ، المجموع المغيث ج2 ص 470.

(18) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، ج7 ص 525 برقم 11214 ، والحاكم في المستدرك برقم 2168 .

(19) رواه أحمد في مسنده ج 2 ص 33 ، والحاكم في المستدرك ج 2 ص 14 برقم 2165 .

(20) رد المختار ج 5 ص 255 .

(21) رواه أحمد في المسند ج 2 ص 351 ، قال الساعاتي في الفتح الرباني : لم أقف عليه لغير الإمام أحمد .

(22) نيل الأوطار ج 5 ص 221.

(23) أذهاب : جمع ذهب، وهومكيال باليمين وجمع الجمع أذاهب . ينظر : النهاية ج 2 ص 174، لسان العرب حرف الباء فصل الذال مادة ذهب ج 1 ص 396 .

(24) عمود كبده : أو كما في رواية عمود بطنه ، وهو الظهر – أي الصلب – لأنه يمسك البطن فصار كالعمود له ، وقيل : أراد أنه يأتي به على تعب ومشقة وإن لم يكن على ظهره فإنما هو مثل، النهايةج 3 ص 96 ، المجموع المغيث ج 2 ص 503 .

(25) الموطأ ج 2 ص 651 ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ج 6 ص 30 ، باب الحكرة من كتاب البيوع .

(26) الاستذكار ج20 ص 70 برقم 29305 ، المحلى ج 9 ص 41-40 .

(27) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج 5 ص 479 ، وذكره البرهان فوزي في كنز العمال ج 4 ص 180 برقم 10063 ورقم 10064 كلاهما عن عمر ، ويروى مرفوعاً .

(28) الموطأ ج 2 ص 651 رقم 58 ، مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 102 برقم 429 .

(29) المحلى ج 9 ص 65 ، مصنف ابن أبي شيبة ج 6 ص 103 برقم 433 .

(30) المحلى في الموضع السابق .

(31) شرح السنة ، البغوي ج4 ص 332 ، شعب الإيمان ، ج 7 ص 525 برقم 1122 ، مصنف عبد الرزاق ج8 ص 204 برقم 4189 .

(32) المراجع السابقة في نفس المواضع .

(33) النخاس : بياع الدواب سمي بذلك لنخسه إياها حتى تنشط ، من نخس الدابة أي غرز مؤخرتها أو جنبها بعود ونحوه ، وقد سمي بائع الرقيق نخاساً والأول الأصل . ينظر : لسان العرب حرف السين فصل النون مادة نخس ج 6 ص 228 ، تاج العروس فصل النون من باب السين ج 4 ص 255 .

(34) حلية الأولياء ج5 ص 234 .

(35) بدائع الصنائع ج 5 ص 129، إحياء علوم الدين ج 2 ص 72 ، الطرق الحكمية ص 243.

(36) البدائع في الموضع السابق .

(37) الدرر الحكام في شرح غرر الأحكام ، جند خسره ج 1 ص 322 ، مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر، عبد الرحمن بن شيء زادة ج 2 ص 430 ، الاستذكار ج 20 ص 74 ، مواهب الجليل ج 6 ص 12 ، شرح العدوي على خليل ج 5 ص 10 ، حواشي الشرواني وابن قاسم العبادي على تحفة المحتاج مع التحفة ج 4 ص 318 ، حاشية الشرقاوي على تحفة الطلاب ج 2 ص 15 ، الزاجر عن اقتراف الكبائر الهيثمي ج 2 ص 317 ، كشاف القناع ج 3 ص 187، السيل الجرار ج 3 ص 80 .

(38) مجموعة بحوث فقهية ، الدريني ج 1 ص 466 ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، العبادي ج 2 ص 46 ، المال وطرق استثماره في الإسلام ، شوقي الساهي ص 102 ، نظرية التملك في الإسلام ، د . أحمد الجنيدل ص 60 .

(39) رواه ابن ماجة برقم 2340 – 2341 كتاب الأحكام باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ج2 ص784 ، وجمع الزيلعي في نصب الراية طرقة والصحابة الذين رووه ، نصب الراية ج5 ص 163 – 171 . وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ج1 ق1 ص 498 برقم 250 (طبعة مكتبة المعارف) أنه حديث صحيح ورد مرسلاً ، وروي موصولاً عن جماعة من الصحابة ، وقد صححه اعتماداً على تصحيح الحاكم والذهبي .

(40) الذرائع : جمع ذريعة أي وسيلة ، وسد الذرائع هو منع الأفعال التي ظاهرها الإباحة ويتوصل بها إلى فعل المحظور ، وقد جعلها ابن القيم أحد أرباع التكليف ، لأن التكليف أمر ونهي وكلاهما نوعان : مقصود لذاته ووسيلة إلى المقصود فيكون هذا المبدأ مساوياً ربع الدين. ينظر : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن القيم ج3 ص 171.

(41) أعلام الموقعين ج3 ص 166 .

(42) أصول الفقه الإسلامي ، الزحيلي ج2 ص 808 . المصلحة : المراد بها المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق ، ينظر : البحر المحيط ج6 ص 76 ، الموافقات في أصول الشريعة، الشاطبي ، ج2 ص 353 .

(43) الحق ومدى سلطان الدولة في تقييده ، د. الدريني ص 129 ، الملكية في الشريعة الإسلامية ، العبادي ج2 ص 145 .

(44) البناية في شرح الهداية ج9 ص 341 .

(45) المرجع السابق ج9 ص 342 ، ومعناه في : الدر المختار مع رد المحتار ج5 ص 255 ، تكملة البحر الرائق ج8 ص 229 .

(46) شرح النووي على مسلم ج11 ص 43 ، مواهب الجليل ج6 ص 12.

(47) فمثلاً يرى الشيخ عليّش أن علة الاحتكار هي : ارتفاع الأسعار وهو ما يؤدي للإضرار، قال: فهم متفقون على أن علة المنع من الاحتكار تغلية الأسعار ، فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب مالك ج1 ص 251.

(48) نيل الأوطار ج5 ص 222 ، السيل الجرار ج3 ص 80 .

هل يحرم إسبال الإزار؟

بقلم : الشيخ أحمد ذياب / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

إن أهل العلم من الفقهاء والمحدثين والأصوليين متفقون على أن السنة النبوية فيها المطلق والمقيد وفيها المحكم والمتشابه، وفيها المجمل والمفصل، وفيها الناسخ والمنسوخ، وفيها المشكل والمختلف. وعليه فإن من الواجب علينا أن نجمع الأحاديث التي تتناول موضوعا واحدا ثم نتأملها بدقة ، نفحص أسانيدها . وأسباب ورودها وزمانها ومكانها إن أمكن، ومعاني ألفاظها، وكل ما من شأنه أن يرسم لنا صورة كاملة عن ذلك الموضوع، حتى نخرج بنتيجة مرضية معتمدة على أسس صحيحة وقواعد سليمة، وبذلك نزيل الأسباب التي أدت إلى وجود إشكالات في فهم النصوص ، إما أن نتسرع بالحكم لمجرد سماعنا للحديث – ولو صح سنده – فإن حكمنا عندئذ تعتريه الضبابية، وقد لا يكون حكما صحيحا ، وربما أوقعنا ذلك في تناقض وتخبط، فنضرب السنة بعضها ببعض، ولا يمكن للسنة أن تناقض بعضها ، وقد اتفق أهل العلم على أن التعارض الحقيقي لا وجود له بين الأحاديث النبوية، سواء كانت قطعية أم ظنية ، فإذا وجد حديثان يوهم ظاهرهما بالتناقض والتنافي والتخالف ، فإن مرد ذلك إلى قصور في أفهامنا نحن ، لا في الأحاديث ذاتها .

إن الموضوع الذي قدمنا له بما سبق، والذي نود الحديث عنه هو ما يثيره بعضهم من وجوب تقصير (الدشداش) إلى منتصف الساق ، أو ما بين الركبة والكعب ، وقد شددوا – هداهم الله – على هذه المسألة، حتى اعتبروها شعيرة من شعائر الإسلام، أو فريضة من فرائضه، أو ركنا من أركانه ، بل إنهم ينظرون شذراً إلى داعية لا يقصر من ثوبه، وربما تواصوا فيما بينهم أن لا يسمعوا ولا يقرؤوا له ، فإن من لم يقصر ثوبه فقد قصر في دينه – على حد زعمهم –.

وهذا التنطع والتشدد منافٍ ليسر الإسلام وسهولته وسماحته واتساعه ، وتلك ظاهرية تخالف رفع الحرج عن الأمة .

ولقد اعتمد هؤلاء على أحاديث صحيحة رواها الإمام البخاري وغيره . أهمها :

أولا : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**) (1)

ثانيا : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : **عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ، خابوا وخسروا ، قال: المسبل إزاره ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب، والمنان عطاءه.** (2)

والإزار : ما يلبس على النصف السفلي من الجسم ، وما يزال بعض الناس في بعض الدول يلبسونه كاليمنيين ، ويلبسه الحجاج والمعتمرون للإحرام .

وليس المقصود بالإزار ذلك اللباس تحديدا ، وإنما يعم ذلك القميص ، أو ما نسميه نحن « **الدشداش** » فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (**الإسبال في الإزار والقميص**)(3) وينطبق ذلك أيضا على السروال (البنطلون) ، فإنه يلبس الجزء السفلي من الجسم.. والمقصود بالكعبين ، العظمتين البارزتين في نهاية الساق، وفوق القدم ، مفردها (كعب) وليس المقصود ما نفهمه خطأ مؤخرة القدم ، فذلك هو العقب كما في حديثه صلى الله عليه وسلم : (**ويل للأعقاب من النار**)(4) أي من عدم إسباغ الوضوء . وقوله صلى الله عليه وسلم (في النار) قال الخطابي : يتناول وجهين أحدهما ما دون الكعبين من قدم صاحبه في النار عقوبة له ، والآخر إن فعله ذلك في النار ، أي معدود من أفعال أهل النار . إذن ، ظاهر الأحاديث توحي بحرمة جر الإزار ، بل إن بعضها يفيد ظاهراً أن إسبال الإزار إلى ما تحت الكعبين من كبائر الذنوب .

ومعلوم أن التسرع بالحكم بناء على ظاهر النص (الآية أو الحديث) يوقعنا في إشكالات كما ذكرت أولا . فانظر _ مثلا _ إلى قوله تعالى : (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً) (الإسراء:72) ولا يمكن إن تفهم هذه الآية

على ظاهرها، وإنما المقصود بالعمى هنا أي عن حجج الله وآياته الدالة على قدرته فلم يؤمن به، والحكم بالظاهر أوقع الصحابي عدي بن حاتم في الخطأ في تطبيق الحكم الشرعي، ذلك أنه لما نزل قوله تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ) (البقرة:187) عمد إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض ، ووضعهما تحت وسادته ، فكان يستيقظ من الليل فينظر إلى العقاليين. هل يميز بينهما فيبدأ صيامه أم لا ، ولما علم الرسول بصنيع عدي قال له: (**إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين**) (5) وفي رواية : (**إنما ذلك بياض النهار وسواد الليل**) (6) والأمثلة على ذلك كثيرة . لكن ليس هدفنا الاستقصاء ، إنما لنبين أنه ليس من الصواب دائما أن نحكم لمجرد الأخذ بظاهر الحديث .

إذن كيف يمكن أن نفهم أحاديث الترهيب الناهية بشدة ، المتوعدة بالنار وبإعراض الله تعالى عمن يطيل إزاره .. ولا شك أن من لا ينظر الله إليه ولا يزكيه ولا يكلمه يوم القيامة قد خاب وخسر ، فهل مجرد إطالة الإزار يستحق هذا الوعيد؟!.

لقد وردت أحاديث صحيحة في هذا الموضوع قيدت الأحاديث التي سبق ذكرها، بالخيلاء والكبر والزهد وإعجاب المرء بنفسه ، أورد بعض هذه الأحاديث : عن سالم بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**من جر ثوبه خيلاء ، لم ينظر الله إليه يوم القيامة**) قال أبو بكر : **يا رسول الله إن أحد شقي إزاري يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه ، فقال صلى الله عليه وسلم، (لست ممن يضيعه خيلاء)**(7).

عن سالم بن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**الإسبال في الإزار والقميص والعمامة ، من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**)(8) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « **إن الله لا ينظر إلى من يجر إزاره بطرا**» (9).

وعن ابن عمر قال : **سمعت رسول صلى الله عليه وسلم بأذنيّ هاتين يقول** : (**من جر أزاره لا يريد بذلك إلا المخيلة فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة**) (10) وعن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم (**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه ، مرجل**

جمته إلا خسف الله به ، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)(11).

وعن أبي بكرة قال : (**خسفت الشمس ونحن عند النبي صلى الله عليه وسلم فقام يجر ثوبه مستعجلا حتى أتى المسجد** ... الحديث)(12).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف ولا مخيلة**)(13)

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم : أما قوله صلى الله عليه وسلم، المسبل أزاره ، فمعناه المرخي له . الجار طرفه خيلاء كما جاء مفسرا في الحديث الآخر (**لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء**) (14).

والخيلاء الكبر ، وهذا التقييد بالجر خيلاء يخصص عموم المسبل إزاره. ويدل على أن المراد بالوعيد من جر ثوبه خيلاء. وقد رخص النبي -صلى الله عليه وسلم- في ذلك لأبي بكر الصديق وقال : (**لست منهم**) إذ كان جره لغير الخيلاء .

وقال الشوكاني : وقد عرفت في حديث الباب من قوله لأبي بكر (**إنك لست ممن يصنعه خيلاء**) (15) وهو تصريح بأن مناط التحريم الخيلاء ، وأن الإسبال قد يكون للخيلاء . وقد يكون لغيره ، ... إلى قوله : فيكون الوعيد في حديث الباب متوجها إلى من فعل ذلك اختيالا ، والقول بأن كل إسبال من المخيلة أخذاً بظاهر حديث جابر ترده الضرورة . فإن كل واحد يعلم أن من الناس من يسبل إزاره من عدم خطور الخيلاء بباله . وقد بوب البخاري في كتاب اللباس (**باب من جر إزاره من غير خيلاء**) قال ابن حجر : قوله باب من جر إزاره من غير خيلاء، أي فهو مستثنى من الوعيد المذكور . ثم قال : قوله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر (**لست ممن يصنعه خيلاء**) (16) وفي رواية (لست منهم) فيه انه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصده مطلقا ، وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عمر أنه كان يكره جر الإزار على كل حال ، فقال ابن بطال : هو من تشديداته .

ثم قال ابن حجر في شرحه لحديث أبي بكرة (**خسفت الشمس ونحن عند النبي صلى**

الله عليه وسلم) فيه أن الجر إذا كان بسبب الإسراع لا يدخل في النهي ، فيشعر بأن النهي مختص بالخيلاء

وقال ابن عبد البر : في حديث (**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من يجر ثوبه خيلاء**): هذا الحديث يدل على أن من جر إزاره من غير خيلاء ولا بطر لا يلحقه الوعيد المذكور، وأما المستكبر الذي يجر ثوبه، فهو الذي ورد فيه ذلك الوعيد وقال أيضا: قال النووي: وقد نص الشافعي على أن التحريم مخصوص بالخيلاء لدلالة الحديث ، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم ، وإلا فمنع تنزيه (17).

وقال علي القاري : قوله (**ما أسفل الكعبين من الإزار في النار**) أي صاحبه في نار جهنم بسبب الإسبال الناشئ عن التكبر والاختيال (18).

وقال أبو الطيب الأبادي في الحديث السابق : ظاهر الحديث أن الإسبال محرم على الرجال والنساء لما في صيغة قوله (من جر) من العموم ، ولكنه قد أجمع المسلمون على جواز الإسبال للنساء كما صرح بذلك ابن رسلان في شرح السنن ، وظاهر التقييد بقوله (خيلاء) يدل بمفهومه أن جر الثوب لغير الخيلاء لا يكون داخلا في هذا الوعيد(19).

هذه بعض أقوال العلماء وشراح الحديث في مسألة إسبال الإزار ، فالتحريم ، والوعيد منوط بالكبر والخيلاء ، ولا شك أن الكبر من الذنوب العظيمة التي يستحق صاحبه النار، فإن الله لا يحب كل مختال فخور ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، فالكبرياء رداء الله فهو جل جلاله المتكبر ، ومن نازعه في ذلك استحق العذاب.

إن الاختيال والتبختر من الكبر والإعجاب بالنفس ، وهو يستوجب حجب رحمة الله ونظره للعبد يوم القيامة، وقد نهى الله تعالى عن ذلك . كما في سورة لقمان : (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) (لقمان:18) وفي سورة القصص : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) (القصص:79).

ومثل ذلك لباس الشهرة فانه يفضي إلى الكبر، الذي يتسلل إلى النفس فيفسدها، سواء أكان هذا اللباس فاخراً غالي الثمن ، أم رخيصا رثا باليا يقصد به الشهرة في

التزهد ، فالعلة في الكبر وحب الشهرة لا في اللباس ، وقد علمت أن رسولنا صلى الله عليه وسلم أباح لنا أن نلبس ما نشاء بشرط عدم الإسراف والخيلاء ، وحديث ابن ماجه الذي ذكرناه آنفا يفيد إباحة اللباس إذا لم يخالطه السرف والمخيلة .

على أني أرى من قصر ثوبه إلى ما فوق الكعبين فإنه مأجور على أنه أصاب السنة، ومن أطال ثوبه إلى ما تحت الكعبين دون خيلاء وكبر فلا إثم عليه، والله أعلم .

هوامش :

1. صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب ما أسفل من الكعبين فهو في النار .
2. النسائي ، كتاب الزكاة ، باب المنان بما أعطى .
3. سنن النسائي (المجتبي) ، كتاب الزينة ، باب إسبال الإزار.
4. صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب غسل الأعقاب .
5. صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض ـ ـ .
6. صحيح ابن حبان ، كتاب الصوم ، باب السحور .
7. صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب من جر إزاره من غير خيلاء.
8. سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب في قدر موضع الإزار .
9. صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة > باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز ـ ـ .
10. صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة > باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز ـ ـ .
11. صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء .
12. صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب من جر إزاره من غير خيلاء .
13. سنن ابن ماجة ، كتاب اللباس ، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة .
14. صحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم جر الثوب خيلاء وبيان حد ما يجوز ـ ـ .
15. الشوكاني في نيل الأوطار (ج2/115).
16. ابن حجر العسقلاني ، فترح البار ي في شرح صحيح البخاري (ج11/ ص426).
17. ابن عبد البر ، التمهيد ، (2ج/ 150).
18. علي القاري ، مرقاة المفاتيح (ج7 / ص2766) .
19. أبو الطيب الأبادي ، عون المعبود (ج11 / ص96).

قال تعالى : ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل:43)

المفتي يجيب السائلين

الشيخ : محمد أحمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية
رئيس مجلس الإفتاء الأعلى

السؤال : ما حكم الهجرة من أرض فلسطين ؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

فقد كثر الحديث هذه الأيام في بلادنا فلسطين عن الهجرة بخاصة بين صفوف الشباب وذلك بسبب الأوضاع الأمنية والاقتصادية المتردية طلباً للرزق في بلاد أخرى. حيث التسابق على أبواب سفارات وممثليات الدول الغربية طلباً للحصول على تأشيرة السفر والهجرة إلى تلك الدول بنية الإقامة الدائمة. لقد حث رسولنا الأكرم – صلى الله عليه وسلم – على الرباط في هذه الديار والهجرة إليها وليس الهجرة منها فقد جاء في الحديث الشريف قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**) (صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) . وقال عليه الصلاة والسلام (**إِنَّهَا سَتَكُونُ هِجْرَةٌ بَعْدَ هِجْرَةٍ يَنْحَازُ النَّاسُ إِلَى مُهَاجَرِ إِبْرَاهِيمَ**) (مسند أحمد، مسند المكثرين، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما) . وقال عليه الصلاة والسلام حينما سأله الصحابي الجليل ذو الأصابع قال: (**إِنْ ابْتُلِينَا بَعْدَكَ بِالْبَقَاءِ أَيْنَ تَأْمُرُنَا قَالَ عَلَيْكَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَنْشَأَ لَكَ ذُرِّيَّةٌ يَغْدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ وَيَرُوحُونَ**) (مسند أحمد، أول مسند المدنيين رضي الله عنهم أجمعين،

حديث ذي الأصابع رضي الله عنه) . وقد حرص الصحابة الكرام رضوان الله عليهم والسلف الصالح من العلماء والأولياء والمجاهدين والمحررين على الرباط في هذه الديار باعتبارها من أهم ثغور الإسلام والمسلمين. وبناء على ما تقدم من نصوص فإن الهجرة من هذه الديار المباركة إلى بلاد أخرى بنية الإقامة الدائمة لا تجوز شرعاً ، وعلى أبناء هذه الديار التمسك بسكناها والرباط فيها ولا يتركوها للغزاة والمحتلين وحسبهم شرفاً أن يكونوا سدنة مسجدها الأقصى المبارك ، الذي تشد إليه الرحال ويضاعف الله فيه الثواب . وأن ينالوا بشارة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأنهم الطائفة الظاهرة على الحق إلى أن يأتي أمر الله وهم كذلك. أما السفر المؤقت إلى بلاد أخرى لطلب العلم أو العمل فجائز شريطة العزم على العودة والإقامة في هذه البلاد المباركة بعد انتهاء مرحلة طلب العلم والعمل.

والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل

****

السؤال: تحريم نبش القبور وتجريم النابشين ومعاونيهم ؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الامين وعلى آله و أصحابه أجمعين وبعد،

ففي ظل الهجمة الشرسة التي طالت حرمة أحياء المسلمين وأمواتهم ، والتي كان آخرها الاعتداء على مقبرة مأمن الله في القدس الشريف، نود التأكيد أولا على أن إسلامنا الحنيف أوجب احترام كرامة الإنسان حياً وميتاً، فمثلما منع الاعتداء على أعراض الناس وحياتهم وممتلكاتهم ،منع كذلك تكسير عظام الموتى أو التعرض لجثثهم بالتمثيل والتشويه،فكسر عظم الميت ككسره حيا ،فعَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (**كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِ عَظْمِ الْحَيِّ فِي الْإِثْمِ**) (سنن ابن ماجة،ما جاء في الجنائز ،في النهي عن كسر عظام الميت)، ومنع الإسلام الجلوس على المقابر فقال صلى الله عليه

وسلم : (**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**)(صحيح مسلم ،كتاب نواقض الإيمان ، باب نواقض الإيمان في باب التوحيد)، فإذا كان المشي على القبر أو الجلوس عليه يقع بين الحرمة والكراهة التحريمية، فكيف بنبشها واقتلاعها وطمرها وتحويلها لمعالم أخرى ؟! فذلك أشد حرمة وإثما وقد اتفق علماء المسلمين على أن المواضع التي يدفن فيها الموتى تصير وقفا ، على المدفونين فيها يحرم المس بها بأية صورة من صور الطمر أو الاقتلاع أو النبش أو غير ذلك . وفي ظل الهجمة العدوانية على مقابر المسلمين في بلادنا المقدسة يقتضينا الواجب الديني والأخلاقي أن نؤكد على حرمة نبش القبور ،ونبين أنه يترتب على المسلمين وكل غيور على كرامة الإنسان أفرادا وحكومات ومؤسسات القيام بواجب التصدي لكل جهة تحاول التعدي على مأوى موتانا، مهما تطلب ذلك من جهد وثمن،أما الذين يتواطأون مع الجهات المعتدية على قبور المسلمين فهم شركاء في الجريمة والإثم ،وهم ظلمة مثلهم ،والله تعالى توعدهم فقال { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} (الشعراء:227).

والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل

****

السؤال : وضعت مالاً في حساب بنكي وربطته بالتوفير السنوي، حتى يكون رأسمال ثابت ودائم لصندوق دعم الطلاب الجامعيين العرب، فهل يجوز صرف الفائدة المترتبة على هذا الحساب على مصالح عامة مثل مساعدة الطلاب الأيتام والفقراء وبناء المدارس. الخ ؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

فبالإشارة إلى سؤالك المثبت نصه أعلاه، والمرفق بكتاب توضيحي ، أود التذكير أن ديننا الإسلامي الحنيف يشترط لبلوغ الغايات الطاهرة اتباع أساليب سليمة ونظيفة

، ويرفض مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» فهدفك النبيل المتمثل في السعي لمساعدة الطلبة المحتاجين، يحتاج إلى وفر مالي وارد من كسب مشروع.

وإن اللجوء إلى حساب التوفير البنكي لتأمين وفر مالي إلى صندوق إعانة الطالب المحتاج ، يُقبل لو كان ما سيجنى من هذا الحساب عن غير طريق الربا ، فالربا محرم شرعاً ، ولا يصح التساهل مع أخذه أو إعطائه ، لعموم الأدلة الشرعية التي تنص على تحريم ذلك، وتتوعد المتعامل به، والله تعالى يقول: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }(البقرة:278) ويقول سبحانه : { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ } (البقرة :276) ويقول جل شأنه : {وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (البقرة :275) أما إن كانت عوائد حساب التوفير قد توافرت من غير سبيل الربا وفق المعاملات الاقتصادية الإسلامية، فهي عوائد مشروعة ، وبالتالي فإن منحها لصندوق خدمة الطالب أمر جائز يثاب فاعله .

وإذا كانت السائلة الكريمة قد أخذت برأي من يقول بتوزيع عوائد الحسابات البنكية على وجوه الخير، فيجدر تحذيرها من اللجوء للمعاملات البنكية الربوية التي تترتب عليها تلك الفوائد دون اضطرار لذلك ، أما إن وجد الاضطرار للتعامل مع بنك ربوي، فلا بأس من صرف عوائد هذا الحساب على المصالح العامة .

والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل

****

السؤال: ما الحكم الشرعي في استقبال القبلة لوضع المرحاض في البيت باتجاه القبلة؟

الجواب: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛

فبالإشارة إلى سؤالك المثبت نصه أعلاه ، فقد وردت آراء فقهية في حكم استقبال القبلة أو استدبارها خلال قضاء الحاجة، وذلك في ضوء الأحاديث النبوية الصحيحة الواردة في

المسألة، ومنها : عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا**) (صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا عند البناء جدار).

وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إِذَا أَتَيْتُمْ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا ، قَالَ : أَبُو أَيُّوبَ : فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ قَدْ بُنِيَتْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، فَنَنْحَرِفُ عَنْهَا وَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ** » (صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة) .

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: « **رَقِيتُ عَلَى بَيْتِ أُخْتِي حَفْصَةَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدًا لِحَاجَتِهِ مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ** » (صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الاستطابة) .

وقال مالك : إنما الحديث الذي جاء (**لا تستقبل القبلة لغائط ولا لبول**) إنما يعني بذلك فيافي الأرض ولم يعن بذلك القرى والمدائن ، وسئل: أرأيت مراحيض تكون على السطوح ؟ قال : لا بأس بذلك ولم يعن بالحديث هذه المراحيض.

وجمعاً بين الأدلة والآراء الفقهية الواردة بالخصوص، نقول بضرورة الحرص على تجنب استقبال القبلة خلال قضاء الحاجة في الفضاء أو الخلاء، أما المراحيض في المباني والبيوت فلا بأس بقضاء الحاجة فيها إن لم تكن متوافقة في بنائها مع تجنب استقبال القبلة أو استدبارها، والأولى أن يتنبه المسلمون عند بناء مبانيهم وبيوتهم إلى هذه القضية، فيجعلوا المراحيض في مواقع تسمح لمستخدمها ألا يكون مستقبلاً للقبلة ولا مستدبراً لها، أما عند تعذر تيسر ذلك، فلا حرج في قضاء الحاجة داخل تلك المراحيض على الوجه الذي يتيسر.

المباركون في القرآن الكريم

بقلم : الشيخ عمار توفيق أحمد بدوي/ مفتي محافظة طولكرم

اعتنى العلماء، واهتمّ الدارسون بالمصطلح القرآني؛ فهو ذات دلالات مميزة، وهذا الاهتمام يعود بنا إلى الجذور اللغوية للكلمات، والتمعّن البصير في دلالتها اللغوية والبلاغية، ومفهومها القرآني. ومن المصطلحات الرائقة الجذابة مصطلح «**البَرَكة**»، وما انبثق عنه من تصريفات؛ خاصة «مبارك، مباركة». وهو شائع الاستعمال، ولا يخلو أحد من استعماله، أو الدعوة به لأحبابه.

وهذه الدراسة الموجزة؛ تتحدث عن كلمة «**البركة**»، ودلالتها، وتصريفاتها، وتنقّلها في ثنايا النص العاطر؛ كتاب الله ﷻ. وقبل أن أُفوِّحَ رائحتها الزكيّة في القرآن؛ لا بدّ لي من أنْ أَلِجَ أسوار العربية؛ من أبواب المعاجم اللغوية؛ لأخرج بباقة عطرة من معاني هذه الكلمة الطيبة.

الفعل بَرَكَ ودلالاته اللغوية:

الفِعلُ بَرَكَ؛ تفرّعت منه اشتقاقاتٌ؛ ازدحمتْ بها معاجمُ اللغةِ، ونطقتْ بها ألسنةُ العَربِ. ولعلَّه من المناسبِ أن أذكرَ بعضَ اشتقاقاتِ الفعلِ التي لها علاقةٌ بالمباركة، وترتبط بمعناها، ومبناها؛ فهي تعينُ على تجليةِ المعنى.

الفعلُ الثلاثيّ للبَرَكة، هو: بَرَكَ. «والباءُ، والراءُ، والكافُ، أصلٌ واحد؛ وهو: ثباتُ الشَّيء»(1).

«وكلُّ شيءٍ ثَبَتَ، وأقامَ؛ فقد بَرَك. وسمّيت البِرْكةُ بذلك؛ لإقامةِ الماءِ فيها»(2). ويقال: «باركتُ على التجارةِ، وغيرِها؛ أي واظبتُ عليها»(3). وبَرَكَ البعيرُ، يَبْرُكُ، بُروكاً: وهو أن يلصقَ بَرْكُه بالأرض(4). والبَرْكُ: الصَّدْرُ، قَصَدَ؛ صَدْرَ البعيرِ»(5).

والبَرَكةُ هي: «الزيادةُ، والنماءُ»(6). «والبَرَكةُ في الشَّيء؛ النماءُ بعدَ النّقصانِ»(7).

«والبَرَكةُ: الكثرةُ في كلِّ خير»(8). «وسمّيت الشاةُ الحلوبُ: بَرَكَة»(9).

ويقال: «لا بارك اللهُ فيه، أيْ: لا نمّاه. وتقول العربُ: ما أبركَ هذا الطعامَ؛ أي ما أنماه»(10). والبُركةُ: طائرٌ من طَيرِ الماءِ، أبيضُ»(11). «والتبريكُ: الدعاءُ بالبَرَكةِ»(12). «وبرّك فيه إذا دعا له بالبركةِ»(13). «وباركَ اللهُ الشيءَ، وباركَ فيه، وعليه، وضعَ فيه البَرَكَةَ»(14).

«وبَرَكةُ اللهِ: علوٌّ على كلِّ حالٍ»(15). «والمباركةُ: مصدرُ بورِكَ»(16). «والبركةُ تكون حسيةً، أو معنوية»(17).

يستفادُ من المعاني اللغوية للبَرَكَةِ؛ أنّها الثباتُ في النماءِ، والزيادةُ فيه؛ فهي زيادةٌ ثابتةٌ؛ لا يطرأُ عليها نقصانٌ، ولا تبديلٌ، وهي نماءٌ متواصلٌ، لا ينقطع، وحينما تكونُ هذه البَركةُ من اللهِ سبحانه وتعالى؛ فهي ثابتةٌ في نمائِها، دون أدنى ارتيابٍ، أو ظُنونٍ.

وهذا قمَّةُ الاستقرارِ إلى هذه الحقيقةِ القرآنيةِ المسدّدةِ بالمددِ الربّاني، والوعدِ الإلهيّ، ومن نالَ هذا العهدَ والوعدَ؛ فهو الهانئُ المطمئنُ إلى أقوى العهودِ، والوعودِ؛ لأنّها من اللهِ الخالقِ الرازقِ المعطي الكريم.

وهذه النّعمةُ العظيمةُ، والمِنَّةُ الغاليةُ؛ تنعَّمتْ بها أرضُنا، وبلادُنا، وفُتِحَت خزائنُها على المسجدِ الأقصى المباركِ، وفاضتْ جلائلُ نعمائِها على مَنْ حَولَه مِن الأرض، والبقاعِ، والأصقاعِ، فمنّ اللهُ تعالى الجليلُ الجوادُ، فقال جل جلاله : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الإسراء:1].

فمعرفةُ تصريفِ الفعلِ «بَرَكَ»؛ نِعمَ العونُ في فهم ما تناثر من تصريفاتِ على الرقعة الكريمة من الكتاب الحكيم، ودراستُها عصمةٌ للباحث من الزلل في معانٍ ربما لم تكن مقصودةً في القرآن، وتُلجِمُ القلمَ المندفع؛ فيبقى في سياج النصِّ؛ لفظاً، ومعنى.

المباركون في القرآن الكريم:

اشتقاقات الفعل «بَرَكَ» في القرآن الكريم، هي: «بارك، وبارك مع فاعله ضمير الشأن،

بورك، تبارك، بركات، مبارك، مباركة». أما الفعل بَرَكَ، واشتقاقاته في القرآن الكريم، فقد وردت في أوصاف ودلالات؛ تعرف بالمباركين في القرآن الكريم، وهم :

الأرض التي عليها معاشنا

من رحمة اللهﷻ عز وجل بخلقه، أنْ باركَ اللهﷻ سبحانه وتعالى في الأرضِ حين خلَقَها، وقبل أن يستقرَّ فيها الإنسانُ للعيش فوقها، وتتناسلَ ذريّتُه فيها، وتكون معايشَ لخلقٍ كثير ممن خلق اللهﷻ سبحانه وتعالى من إنسٍ، وحيوان، فقال ﷻ عن هذه النِّعمة العظيمة، والمنحة الإلهية الكريمة: (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ) [فصلت:10].

هذه البركة الربّانية في الأرض؛ أزالت الأوهامَ، والوساوس من نفسِ الإنسانِ الخائف على معاشه الذي كدّه السعيُ البشريّ؛ لتوفير طعامِه، وطعام من يقوت. قال ﷻ: (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) [هود:6]. وقال ﷻ: (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) [الحجر:20].

فكلّ هذه المعايش التي تفيض على الإنسان؛ إنما انبعثت من بركة اللهﷻ عز وجل في هذه الأرض التي حملت الإنسانَ على بِساطها، وستظلُ حاملةً له إلى أن يشاء اللهﷻ تعالى، « فالبركةُ ثبوتُ الخير الإلهي في الشيء»(18).

ومادة بركة «موضوعة لِلزوم والثبوت»(19)، «ولما كان الخيرُ الإلهي يصدر من حيث لا يُحسّ، وعلى وجه لا يحصى، ولا يحصر؛ قيل: لكلِّ ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة: هو مبارك، وفيه بركة»(20). فالأرض مباركة ما شاء اللهﷻ تعالى لها أن تكون.

ومهما حاول المفسّرون رصَّ المعاني في شرح معنى بَرَكة الأرض؛ فلن يحصوها عدداً؛ فهي أمرٌ لطيفٌ أودعه اللهﷻ في هذه الأرض؛ حتى تصلحَ للحياةِ؛ ولحياة الإنسان عليها. وهي حكمةٌ ربّانية؛ اختار اللهﷻ عز وجل الأرضَ دون سائر الكواكب؛ مستقراً لأجل معلوم؛ يستطيع الإنسان أن يعمّرها، وأمدّه اللهﷻ سبحانه وتعالى بكل ما يساعده على ذلك، قال اللهﷻ تعالى : (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ

الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ)[إبراهيم:34].

والآيات الكريمة تدلّ على أنّ بركةَ الأرض عموماً؛ تعني فيما تعنيه؛ تيسير أمرِ الحياة فوقها بجميع جوانبها؛ فتبقى مستمرةَ العطاء، تُدِرُّ بالخيرات، (وبارك في الأرض؛ فجعلها دائمةَ الخير)(21).

المسجد الحرام.

قال ﷻ سبحانه وتعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا (22) وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ)[آل عمران:96].

وبركات المسجد تكمن في هدايته؛ كلّما لاحتْ أنوارُها للطائفين، وفي استيعابه للناس؛ مهما زاد عدُّ العادِّين. ومن بركتِه، «الطواف به مغفرة للذنوب»(23).

ومن بركته مضاعفة الحسنات. فعن جابر بن عبد ﷺ قال: قال رسول ﷺ صلى الله عليه وسلم : «**صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**»(24). ومن بركته أنه؛ بيتﷻ جل جلاله، ومتنزّل الوحي الأمين.

المسجد الأقصى المبارك، وما حوله.

قال الله سبحانه وتعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[الإسراء:1].

والبركة تشمل المسجد الأقصى المبارك، وبيت المقدس، وفلسطين عامة.

والبركة تعني: «الذي باركنا حوله ببركات الدين، والدنيا؛ لأنه مهبط الوحي، ومتعبد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»(25). وهو «الذي جعلْنا حوله البركة، لسكّانه في معايشهم، وأقواتهم، وحروثهم، وغروسهم»(26). وإذا بورك حوله؛ فالبركة فيه مضاعفة؛ ولأنّ ﷻ تعالى لمّا أراد أن يعرج بنبيه محمد ﷺ إلى سمائه؛ جعل طريقه عليه تبييناً لفضله؛ وليجعل له فضل البيتين، وشرفهما»(27).

والمسجد الأقصى المبارك، محلّ تنزل البركات، وينبوع الخيرات، فهو ثاني مسجد بُني

على الأرض للعابدين، فعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: (سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وُضِع في الأرض قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي ؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون عاماً)(28).

وهذا شرف عظيم لهذه البقعة الطاهرة التي اختارها الله جل جلاله ، لتكون بيتاً لذكره، وبيوت الله تعالى هي أشرف البقاع.

والحديث الصحيح المذكور يدلّ على أنّ بناء المسجد الأقصى قبل سليمان عليه السلام، وقبل داود عليه السلام، وقبل بني إسرائيل جميعاً. «فما بين إبراهيم عليه السلام وسليمان عليه السلام أكثر من ألف سنة»(29). والحديث الشريف يذكر أنّ بناء المسجد الأقصى بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة. قيل: إنّ أوّل من أسس المسجد الأقصى آدم عليه السلام، وقيل: الملائكة، وقيل: سام بن نوح عليه السلام، وقيل: يعقوب عليه السلام (30) .

والمسجد الأقصى هو أولى القبلتين في الإسلام، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: « كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً »(31).

ومن بركة المسجد الأقصى أنّ الرِّحال تُشدُّ إليه؛ فتحظى ببركاته الزاخرة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (**لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى**) (32).

ومن بركة المسجد الأقصى مضاعفة أجر الصلاة فيه، فالثابت في الأحاديث الصحيحة أنّ الصلاة في المسجد الأقصى المبارك، تعدل مائتين وخمسين صلاة فيما سواه من المساجد؛ عدا المسجد الحرام، والمسجد النبوي؛ فعن أبي هريرة ﷺ أنّ النبي ﷺ قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام) (33).

وعن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله ﷺ أيهما أفضل مسجد رسول الله ﷺ أو مسجد بيت المقدس؟ فقال رسول الله ﷺ : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه، ولنِعمَ المصلّى، وليوشكنّ أن لا يكون للرجل مثل شطن [حبل] فرسه من الأرض، حيث يرى منه بيت المقدس، خير له من الدنيا جميعاً، أو قال خير من

الدنيا، وما فيها»(34).

ومن بركاته العظمى؛ أن اجتمع في رحابه الأنبياء جميعاً، فصلّوا مؤتمّين بنبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم (35) خاتم الأنبياء والمرسلين، فكان هذا شرفاً لنبيِّنا ﷺ، ولأمّته من بعده، وشرف عظيم للمسجد الذي ضمّهم.

مباركة المنزل :

قال الله تعالى : (وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ)[المؤمنون:29].

«فالمنزل اسم لكلِّ ما نزلت فيه»(36). «أي حيث يوجد الخير الإلهي»(37). فهو منزل «مقصود لا على التعيين»(38). «أي منزلاً مباركاً يتسبب لمزيد الخير في الدارين»(39).

بركات من السماء والأرض :

قال الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[الأعراف:96].

وهذه بركات لا حصر لها؛ مفتّحة الأبواب من فوقهم، ومن تحت أرجلهم؛ ليتسنى لهم العيش، وهي آية من أعظم آيات النِّعم، وفيوضِ الخير، والكرمِ الإلهي، على بني البشر، (فجعل التُّقى سبباً من أسباب الرزق)(40).

ومن المفسّرين من فسّر البركات «بالمطر، والنبات»(41). ومنهم من قال: «لأعطتهم السماءُ بركتَها، والأرضُ نباتَها»(42).

والأصوب في تفسير البركات، أنها عامة؛ تشمل كلّ ما ينزل من السماء؛ من غيث مغيث، وخير حسّي، وخير معنويّ، ومنه بركةُ القرآن، والكُتب المنزّلة. وبركات الأرض أعمّ من النبات، ففي جوف الأرض خيرات، وبركات؛ ما زال الإنسان يكتشفها؛ ويتنعّم بخيرها، وبركتها.

المطر :

قال الله عز وجل: (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ) [سورة ق:9]. «فبركة ماء السماء؛ هي ما نبّه عليه بقوله عز وجل: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[الزمر:21]. وبقول الله سبحانه وتعالى: (وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ)[سورة المؤمنون:18](43).

ومعنى مباركاً: «كثير المنافع»(44). ومن منافعه قول الله تعالى : (وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ })[ق:11-9].

شجرة الزيتون :

قال الله سبحانه وتعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [النور:35]. (وليس شيء في الشجر يورق غصنه من أوّله إلى آخره مثل الزيتون والرمّان) قال الشاعر:

بورك الميتُ الغريب كما بورك نَظْمُ الرمّانِ والزيتون(45).

«وفي الزيتونة منافعُ: يسرجُ بالزيت، وهو إدام، ودِهان، ودباغ، ووقود، يوقد بحطبه، وتفله وليس فيه شيء إلا وفيه منفعة، حتى الرماد يغسل فيه الإبريسم، وهي أول شجرة نبتت في الدنيا، وأول شجرة نبتت بعد الطوفان»(46).

«ويقال: فلان من شجرة مباركة، أي من أصل مبارك»(47).

تبارك الله جل جلاله :

قال الله سبحانه وتعالى : (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[الأعراف:54].

وتكررت هذه اللفظة الكريمة، في مواضع عِدّة.

وتبارك؛ مفردة الحصر استعمالها بحقِّ الله ذي الجلال والإكرام، «فلا يوصف به إلا الله تبارك وتعالى. ولا يقال: (تبارك فلان في معنى عَظُمَ، هذه صفة لا تنبغي إلا لله عز وجل) (48).

«وتبارك لا يقال لغيره ـ لغير اللّه ـ ذلك، ولا يصلح إلا له ﷻ؛ فهو سبحانه المتبارك، وعبده ورسوله المبَارك، كما قال المسيح عليه السلام: جعلني مباركاً أينما كنت، فمن بارك اللّه فيه، وعليه؛ فهو المُبَارك. وأما صفة تبارك فمختصة به ﷻ. كما أطلقها على نفسه، بقوله عز وجل : (تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (49).

ولها تفاسير تتفق مع ما ينبغي أن يكون عليه الحال، والتنزيه لله ربّ العالمين، جلّ في علاه. «تبارك اللّه تمجيدُ، وتجليل»(50).

(وفسروه: العلوّ؛ لأنّ البركة في الشيء النماء بعد النقصان، وهذه صفة منفية عن الله عز وجل) (51). «وتبارك اللّه: ارتفع. والمُتَبَارك: المرتفع»(52). «وتبارك تعالى، وتعاظم»(53). «وتبارك اللّه: أي يتبرّك باسمه في كلِّ أمر»(54).

«ومعنى تبارك: تقدّس: أي تطهر، والمقدّس: المطهّر. وتبارك اللّه: تمجيدٌ، وتعظيم»(55). «و تبارك اللّه: أي بارك الله »(56). وتبارك معناها في حقِّ اللّه؛ «تزايد خيره، وإحسانه»(57). «وتبارك من البَرَكة، وهي الكثرة، والاتساع»(58). وتبارك اللّه؛ جاء بكلّ بركة»(59).

وتبارك اللّه: «أي تقدَّس؛ وتنزَّه عن كل نقص، ويدخل في ذلك تنزهه تعالى عن نقصٍ في الخلق، أو في الأمر دخولاً أولياً»(60).

وكلمة(تبارك) «هذه الكلمة مجمع الدعاء؛ لاشتمالها على إفادة معنى قِدمه، ودوام ثبوته، وأفادت معنى جلاله؛ الذي هو استحقاقه لنعوت العزِّ؛ لأنه قد تبارك أي تعظّم، وأشارت إلى سداد النِّعم، وإتاحة الإحسان؛ من حيث أنّ البركة؛ هي الزيادة؛ فهي مجمع الثناء، والحمد للحقِّ سبحانه»(61).

بورك من في النار :

قال الله سبحانه وتعالى : (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[سورة النمل:8]. (ومن حولها) «يعني الملائكة. والعرب تقول: باركك اللّه، وبارك فيك، وبارك عليك»(62). (بورك من في النار، نور اللّه عز وجل . ومن حولها قيل: الملائكة، وقيل: نور الله) (63).

القرآن الكريم :

وصفت آياتٌ بيّنات كتابَ الله عز وجل ؛ أنه مبارك، فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[الأنعام:92].

(والمبارك: ما يأتي من قِبله الخير الكثير)(64). وفي هذا «تنبيه على ما يفيض عنه من الخيرات الإلهية»(65).

ومبارك جاءت اسماً؛ «لأنّ الاسم يدل على الثبوت، والاستقرار، وهو مقصود هنا؛ أي: بَرَكَةٌ ثابتة مستقرة»(66). وجاءت الآية «تنبيهاً على ما يفيض عليه من الخيرات الإلهية»(67).

وبركات القرآن الكريم، أكثر من أن تحصى، أو تستقصى؛ فهو لا يَبْلى على كثرةِ الردّ، ويهدي الإنسانَ ما دام الإنسانُ حيّاً على الأرض، ويأخذ بيد المُهتدَى إلى الفوز بالجنّة يوم الدّين، وبه صلاحُ الدنيا، وقوامُ الدين. ومبارك في تلاوته؛ فينال القارئ الأجر مضاعفاً عند الله عز وجل ، ومبارك في آثاره، وهو أصل البركة، وينبوع الخيرات.

ليلة القدر :

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾[سورة الدخان:3].

وبركات ليلة القدر، في نزول القرآن العظيم، كلام ربّ العالمين؛ ليكون هادياً للناس، وفيها يفرق كلُّ أمر حكيم، وتقدّر المقادير، وتحتفي بها ملائكة السماء، وعلى رأسهم الوحي الأمين، وتقبل الأعمال، وتضاعف الحسنات؛ فهي ينبوع بركات، وتنزّل رحمات، ومغفرة لقائمها.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [سورة القدر:1-5].

والبركة فيه: « بما يكون من ثباته، وبقائه إلى آخر عمر البشر في الدنيا»(68).

التحية.

قال الله سبحانه وتعالى : (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[النور:61]. وقال الله سبحانه وتعالى : (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً)[النساء:86].

والتحية المباركة؛ هي السلام، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه، قال: اذهب فسلِّم على أولئك نفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيونك؛ فإنها تحيتك، وتحية ذريتك. قال: فذهب فقال: السلام عليكم. فقالوا: السلام عليك، ورحمة الله. قال: فزادوه، ورحمة الله. فكلُّ من يدخل الجنة على صورة آدم »(69).

نبي الله عيسى عليه السلام :

قال الله سبحانه وتعالى : (وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً)[سورة مريم:31]. مباركاً: « أي موضع الخيرات الإلهية»(70). ومعناه: « يُتعلم مني حيثما كنت »(71). أي نفّاعاً معلماً للخير(72). وقيل: بركته: أمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر» (73).

بركات على نبيّ الله نوح عليه السلام ومن آمن معه :

قال الله سبحانه وتعالى : (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)[هود:48]. ومن معنى البركات: «زيادات في نسلك؛ حتى تصير آدمَ ثانياً»(74).

فالطوفان أخذ كلَّ من دبَّ على الأرض من البشر، ولم تبق إلا البقية الناجية مع نوح عليه السلام؛ فكان محتاجاً إلى مثل هذه البركات. (وهؤلاء النُّجاة سبقت لهم السعادة)(75). وأهم سعادة في النجاة.

بركات على أهل بيت نبي الله إبراهيم عليه السلام :

قال الله سبحانه وتعالى : (قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)[هود:73]. «البركات: السعادة»(76). ومن بركات ذلك النبوّة، والرسالة، وبأنّ له نسلاً، وعقباً(77).

البقعة المباركة :

قال الله سبحانه وتعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [القصص:30]. «سمّيت بالمباركة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى كلّم موسى فيها، وبعثه نبياً»(78). (وشاطئ الواد الأيمن هو الطور)(79).

الأرض التي نجّى إليها إبراهيم ولوطاً عليهما الصلاة والسلام :

قال الله تعالى : (وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)[الأنبياء:71]. قيل: هي: «أرض الشام إلى العراق»(80). والأرض هنا تعني الشام(81). وقيل: هي أرض بيت المقدس(82). وهي الأرض المقدّسة(83). وفلسطين هي جوهرة الشام. وإطلاق المؤرخين اسم الشام على فلسطين دارج في كُتبهم.

مجموعة من القرى :

قال الله سبحانه وتعالى : (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ)[سبأ:18].

«يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم، وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التي باركنا فيها؛ وهي الشام قرى ظاهرة. وقيل: عنى بالقرى التي بورك فيها بيت المقدس»(84).

(وقرى ظاهرة يعنى عامرة مُخْصِبَة)(85). وظاهر الآية (أنّ خط الاتصال عامر مستمر متواصل بين بيت المقدس مروراً بالشام إلى اليمن مملكة سبأ)(86).

الأرض التي ملكها سليمان :

قال الله سبحانه وتعالى : (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ)[الأنبياء:81]. كانت تجري لسليمان إلى كلِّ موضع، ثم تعود به من يومه إلى منزله، فذلك قول الله جل جلاله : (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ) (87). « تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها؛ يعني الشام. يروى أنها كانت تجري به، وبأصحابه إلى حيث أراد، ثم تردّه إلى الشام »(88).

الأرض التي ورثها المستضعفون :

قال الله سبحانه وتعالى : (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) [الأعراف:137].

القوم الذين كانوا يستضعفون؛ هم بنو إسرائيل في عهد موسى عليه السلام، وأيام الطاغية فرعون، ومشارق الأرض؛ الشام، وذلك مما يلي الشرق منها، ومغاربها التي باركنا فيها، التي جعلنا فيها الخير ثابتاً دائماً لأهلها. وإنما قال جل ثناؤه: وأورثنا؛ لأنه أورث ذلك بني إسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالقة (89). وهناك قول: إنها «فلسطين»(90).

وردّ الطبريّ تأويلاً بعيداً، فقال: «فإن قال قائل: فإنّ معناه في مشارق أرض مصر، ومغاربها؛ فإن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب مع خروجه عن أقوال أهل التأويل، والعلماء بالتفسير»(91).

الهوامش

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: معجم مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر. 1399هـ/1979م. ج1ص227. مادة بَرَكَ.

(2) الجوهري، إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. 6مج. ط2. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. بيروت: دار العلم للملايين. 1319هـ/1979م. ج4ص1574. مادة برك.

(3) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة. 15مج. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للنشر والتأليف. 1384هـ/1964م. ج10ص231.

(4) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري: كتاب جمهرة اللغة. 4مج. بيروت : دار صادر. ج1ص273. بلا طبعة، ولا تاريخ.

(5) ينظر: الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد: كتاب العين. 8مج. تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم

السامرائي. ط1. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. 1408هـ/1988م. ج5ص367. الجوهري: الصحاح. ج4ص1574.

فائدة لغوية:

قال ابن قتيبة: «وأما المجثمة فهي التي جثمت على الموت. يقال: بَرَك البعير ورَبَضت الشاة وجثم الطائر وجثمت الأرنب وجثمتها إذا أنا فعلت بها مكرهاً لها عليه». ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدنيوري: غريب الحديث. 3مج. ط1. تحقيق د عبد الله العاني. بغداد: مطبعة العاني.1397هـ ج1ص276.

«والجثوم؛ هو للناس، والطير بمنزلة البروك للبعير» ينظر: الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. 1مج. ط2. تحقيق د عدنان درويش. ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1413هـ/1993م. ص356.

(6) الفراهيدي: كتاب العين. ج5ص368. مادة برك. الجوهري: الصحاح. ج4ص1575. الأزهري: تهذيب اللغة. ج10ص231.

(7) ابن دريد: كتاب جمهرة اللغة. ج1ص272.

(8) الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري: معاني القرآن وإعرابه. 5مج. ط1. تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي. بيروت: عالم الكتب. 1408هـ/1988م. ج4ص57.

(9) الفراهيدي: العين. ج5ص368.

(10) ابن دريد: كتاب الجمهرة. ج1ص273.

(11) الفراهيدي: العين. ج5ص 367. الجوهري: الصحاح. ج4ص1575. وعند ابن دريد، البُرْك. ينظر: ابن دريد: كتاب جمهرة اللغة. ج1ص272. وقال الفراهيدي: «الجمع بُرَك». قلت: لعل الضبط عند ابن دريد بتسكين الراء، من خطأ النسّاخ. والله أعلم. واستشهد الجوهري بشعر لزهير بن أبي سلمى:

حتى استغاثت بماء لا رِشاء به من الأباطح في حافاته البَرَكُ .

وأضاف ابن منظور إلى معنى البرك، الضفادع. فقال: «والبرك أيضا الضفادع». ينظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب.15مج. بيروت: دار صادر. مادة حضر. ج10ص399. لم يُذكر الطبعة، ولا التاريخ.

ونقل تفسير بعضهم كذلك لبيت زهير. وعدتُ إلى ديوان زهير بن أبي سلمى؛ فوجدت البيت من قصيدة له بعنوان: اردد يساراً، وفي شرحه: البُرَك: طير بيض صغار. ينظر: ابن أبي سلمى، زهير: ديوان شعر.1مج. بيروت: دار صادر. ص50. بلا تاريخ ولا طبعة.

والقصيدة قيلت في راعي زهير الذي ساقه مع إبله، الحارث بن ورقاء من بني أسد. والذي تقتضيه القصيدة، ووصف إبله؛ أنّ المقصود، هو الطير، وليس الضفادع. وقصيدة زهير رائعة المعاني.

تنويه وتعقيب: قال الزَّبيدي: وأنشد الجوهريّ لزهير، يصف قطاة فرّت من صقر إلى ماء ظاهر على وجه الأرض، حتى استغاثت بماء لا رِشاء له من الأباطح في حافاته البُرَكُ». ينظر: الزَّبيدي، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى: تاج العروس من جواهر القاموس. 20مج. دراسة وتحقيق علي شيري. بيروت: دار الفكر. 1414هـ/1994م. ج13ص517. لم يذكر الطبعة. قلتُ: أولاً: البيت من شواهد ابن دريد «ت321هـ»، وهو أسبق بكثير من الجوهري ت393هـ». ثانياً: قول الزّبيدي عن البيت قاله زهير «في وصف قطاة فرت من صقر». هذا قول غير دقيق. فالبيت يُربطُ مع الأبيات السابقة في القصيدة. فقبل هذا البيت بثمانية أبيات؛ يتحدث عن إبله المسروقة التي من أجلها نظم زهير قصيدته، ويقول في

هذا البيت مشبّهاً إبله بالقطا؛ من حيث السرعة:
كأنها من قَطا الأجبابِ حلأّها وِردٌ وأفرد عنها أُختَها الشَّركُ. ينظر: زهير: الديوان. ص49. والأجباب: جمع جب وهي البئر، وحلأّها: طرداً عن الماء.

(12) الفراهيدي: العين. ج5ص368. الجوهري: الصحاح. ج4ص1575. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. ج1ص230.

(13) الزمخشري، محمود بن عمر: أساس البلاغة. 1مج. بيروت: دار صادر ودار بيروت. 1385هـ/1965م. ص37. لم يذكر الطبعة.

(14) ابن منظور: لسان العرب. مادة حضر. ج10ص395.

(15) الأزهري: تهذيب اللغة. ج10ص231.

(16) الفراهيدي: العين. ج5ص368.

(17) الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. ص248.

(18) الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54.

(19) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. 6مج. تحقيق محمد علي النجار. بيروت: دار الكتب العلمية. ج3ص209. لم يذكر الطبعة ولا التاريخ.

(20) الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54. والفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. 6ج3ص210.

(21) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن. 30مج. بيروت: دار الفكر. 1405هـ. ج24ص95. بلا طبعة.

(22) البكّ: الدقّ. وقيل: تبكّ أعناق الجبابرة. وقيل: لازدحام الناس فيها. ولمكة أسماء كثيرة جداً. ينظر: الكرمي، مرعي بن يوسف: إحكام الأساس في أول بيت وضع للناس. 1مج. ط1. تحقيق عمار توفيق أحمد بدوي. فلسطين: الرسالة. 1421هـ/2001م. ص89-93.

(23) الطبري: جامع البيان. ج4ص10.

(24) ابن حنبل، أحمد: المسند. 6مج. مصر: مؤسسة قرطبة. ج3 ص397. ابن ماجه، محمد بن يزيد: السنن. كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها. باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ. رقم الحديث 1406. ج1ص451. بلا طبعة ولا نشر. وقال ابن حجر: «إسناده صحيح». ينظر: ابن حجر، أحمد بن علي: تلخيص الحبير. 4مج. تحقيق عبد الله هاشم المدني. المدينة المنورة. 1384هـ/1964م. ج4ص179. لم يذكر الناشر.

(25) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج4ص431. النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ج2ص278. بلا طبعة ولا تاريخ.

(26) الطبري: جامع البيان عن تفسير القرآن. ج15ص17.

(27) السيوطي: إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى. ج1ص95.

(28) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الأنبياء. باب يزفون النّسَلان في المشي. رقم الحديث3186. ج3ص1231. مسلم: صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. رقم الحديث520. ج1ص370.

(29) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج6ص408.

(30) ابن حجر: فتح الباري. ج6ص409.

(31) البخاري: صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب ولكل وجهة هو موليها. ج4ص1634. مسلم: صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة. ج1ص374.

(32) البخاري: صحيح البخاري. ج1ص398. مسلم: صحيح مسلم. ج2ص1014.

(33) البخاري: صحيح البخاري. ج1ص398. مسلم: صحيح مسلم. ج2ص1012.

(34) الحاكم: المستدرك. وقال: هذا صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح. ج4ص554. وصححه الألباني. ينظر: الألباني، محمد ناصر الدين: الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب. 1مج. ط1. غراس للنشر والتوزيع. ص 549. وقال: «فإنه يفيد أنّ فضل الصلاة فيه أربعة أضعاف الصلاة في الأقصى، وينتج منه أنّ الصلاة في المسجد الأقصى على الربع من الصلاة في المسجد النبوي».

(35) إمامته ﷺ للأنبياء في المسجد الأقصى. رواها الإمام أحمد: ينظر: ابن حنبل: مسند أحمد. ج1ص257. وصححها ابن كثير. ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج4ص15. السيوطي: ينظر: السيوطي، عبد الرحمن: الخصائص الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية. 1985م. ج1ص264.

(36) الزجاج: معاني القرآن. ج4ص111.

(37) الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54.

(38) الفيروز أبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. ج3ص209.

(39) البيضاوي: أنوار التنزيل. ج4ص153.

(40) القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن. 20 مج. ط2. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني. القاهرة: دار الشعب. 1372هـ. ج6ص241.

(41) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج7ص253. ابن الجوزي: عبد الرحمن بن علي. زاد المسير في علم التفسير. 9مج. ط3. بيروت: المكتب الإسلامي. 1404هـ. ج2ص395.

(42) السيوطي، عبد الرحمن: الدر المنثور. 8 مج. بيروت: دار الفكر. 1993م. ج3ص505.

(43) الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54.

(44) ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر. 1401هـ. ج4ص223. البيضاوي، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. 5مج. تحقيق عبد القادر حسونة. بيروت: دار الفكر. ج5ص225.

(45) الزجاج: معاني القرآن. ج4ص45. والشاعر هو أبو طالب عمّ النبي ﷺ.

(46) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج2 ص258. ولهذا اتخذ غصن الزيتون شعار السلام.

(47) ابن منظور: لسان العرب. ج4 ص398.

(48) ابن دريد: كتاب الجمهرة. ج1ص273. النسفي، أبو البركات عبد الله: مدارك التنزيل وحقائق التأويل. 4مج. بيروت: دار الفكر. ج3ص160. بلا طبعة ولا تاريخ.

(49) ابن عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة. ص332. بلا تاريخ ولا طبعة.

(50) الفراهيدي: العين. ج5ص368.

(51) ابن دريد: كتاب الجمهرة. ج1ص272.

(52) الأزهري: تهذيب اللغة. ج10ص230.

(53) الزجاج: معاني القرآن. ج5ص197.

(54) الأزهري: تهذيب اللغة. ج10ص230. نقلاً عن ابن الأنباري.

(55) الأزهري: تهذيب اللغة. ج10ص230.

(56) ابن منظور: لسان العرب. ج10ص396.

(57) الحلبي، أحمد بن يوسف: الدر المصون في علم الكتاب المكنون. 7مج. ط1. تحقيق د. أحمد محمد الخراط. دمشق: دار القلم. 1407هـ/1987م. ج3ص316.

(58) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج7ص223. الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية. 5مج. بيروت: دار الفكر. لم يذكر التاريخ ولا الطبعة. ج2ص212. النسفي: مدارك التنزيل. ج2ص16.

(59) البغوي، الحسين بن مسعود: معالم التنزيل. 4مج. ط1. تحقيق خالد العك ومروان سوار. بيروت: دار المعرفة. 1406هـ/1986م. ج2ص165.

(60) الآلوسي، محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. 30مج. بيروت: دار إحياء التراث العربي. ج8ص138.

(61) القشيري، أبو القاسم عبد الكريم: لطائف الإشارات. 3مج. ط2. تحقيق د. إبراهيم بسيوني. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج1ص540. بلا تاريخ.

(62) الفراء: معاني القرآن. ج2ص286.

(63) الزجاج: معاني القرآن. ج4ص109.

(64) الأزهري: تهذيب اللغة. ج10ص230. نقلا عن الزجاج.

(65) الكفوي: الكليات. ص248.

(66) الحلبي: الدر المصون في علم الكتاب المكنون. ج5ص38-37.

(67) الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54.

(68) رضا، محمد رشيد: تفسير المنار. 12مج. ط2. دار الفكر. 1393هـ/1973م. ج7ص620.

(69) البخاري، محمد بن إسماعيل: الصحيح. 6مج. ط3. تحقيق د. مصطفى البغا. بيروت: دار ابن كثير، واليمامة. كتاب الاستئذان. باب بدء السلام. رقم الحديث 5873. ج5ص2299. مسلم، أبو الحسين ابن الحجاج: صحيح مسلم. 5مج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. كتاب الجنة وصفة نعيمها. باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير. رقم الحديث2841. ج4ص2183. واللفظ لمسلم.

(70) الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ص54

(71) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد: معاني القرآن. 3مج. ط2. بيروت: عالم الكتب. 1980م. ج2ص167. لم يذكر الطبعة.

(72) الطبري: جامع البيان. ج16ص80. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج3ص121. البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج1ص14.

(73) الطبري: جامع البيان. ج16ص80. ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج3ص121.

(74) البيضاوي: أنوار التنزيل. ج3ص283.

(75) الطبري: جامع البيان. ج12ص55.

(76) الفراء: معاني القرآن. ج2ص23. الطبري: جامع البيان. ج12ص77. وقال الأزهري: «وكذلك قوله في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ لأنّ من أسعده الله بما أسعد به النبي ﷺ. فقد نال السعادة، المباركة الدائمة». ينظر: الأزهري: تهذيب اللغة. ج110ص232. وأنوّهُ هنا أنّ الزّبيدي، خلط بين عبارات الأزهري، والفراء، في تفسير «بركاته» فنسب ما قال الأزهري للفراء. والصواب ما نوّهتُ إليه، ونسبته. ينظر: الزّبيدي: تاج العروس. ج13ص514.

(77) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. ج2ص155.

(78) الزجاج: معاني القرآن. ج4ص143.

(79) الطبري: جامع البيان. ج20ص71.

(80) الزجاج: معاني القرآن. ج3ص398.

(81) الطبري: جامع البيان. ج17ص47.

(82) ابن المرجا، أبو المعالي المشرف بن إبراهيم المقدسي: فضائل بيت المقدس والخليل وفضائل الشام. 1مج. ط1. تحقيق كفري. عوفر ليفنه. شفا عمرو: دار المشرق للطباعة والنشر. 1995م.ص259. المقدسي: مثير الغرام. ص73. العليمي، مجير الدين: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. 2مج. ط1. تحقيق عدنان أبو تبّانة. حقق الجزء الأول. الخليل: مكتبة دنديس. 1420هـ/1980م. السيوطي، أبو عبد الله محمد بن شهاب الدين: إتحاف الأخصّا بفضائل المسجد الأقصى. 2مج. تحقيق د. أحمد رمضان أحمد. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1982م. ج1ص96. ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان. ص93.

(83) العليمي: الأنس الجليل. ج1ص347.

(84) الطبري: جامع البيان. ج22ص83 ،84. الشوكاني: فتح القدير. ج4ص324.

(85) الشوكاني: فتح القدير. ج4ص324.

(86) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج14ص289 ،290. وينظر: الآلوسي: روح المعاني. ج22ص129.

(87) الفراء: معاني القرآن. ج2ص209.

(88) الطبري: جامع البيان. ج17ص55. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج11ص322. وينظر: ابن الجوزي: زاد المسير. ج5ص347.

(89) الطبري: جامع البيان. ج9ص43. وللإطلاع على الروايات أنها أرض الشام، ينظر: السيوطي: الدر المنثور. ج 3ص526.

(90) السيوطي: الدر المنثور. ج3ص32س6.

(91) الطبري: جامع البيان. ج9ص43. قال ابن الجوزي: «مشارق الأرض ومغاربها فيه ثلاثة أقوال:أحدها مشارق الشام ومغاربها. قاله الحسن. والثاني مشارق أرض الشام ومصر. والثالث أنه على إطلاقه في شرق الأرض وغربها». ينظر: ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير. ج3ص253.

وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ لا تَصْمِدُ أَمَامَ سِلاحِ العَزِيمَةِ والاسْتِعَانَةِ بِالرَّحْمَنِ

بقلم : الشيخ إحسان إبراهيم عاشور / مفتي محافظة خان يونس

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهاتان مسألتان تتعلقان بالوساوس الشيطانية التي يتعرض لها كثير من المصلين في الطهارة والصلاة ، وخاصة الذين أصبحت الوسوسة مرضاً يلازمهم ويؤرقهم ويكدر عليهم صفو حياتهم ، أعرضهما وأجيب عنهما ، راجياً من الله تعالى أن ينفع بهما عموم المسلمين .

المسألة الأولى: إذا تَعَرَّضَ الـمُصَلِّي لوَسْوَسَةِ الشَّيطانِ في صلاته؛ يُلَبِّسُ عليه القراءةَ، أو يُشَكِّكُهُ في عدد الركعات التي صَلاها ، فماذا يفعل؟

الجواب: إن ذلك من وساوس الشيطان التي يَعْمَدُ من خلالها إلى إفساد العبادة، والتشويش على الـمُصلي ، وعلاج ذلك يكون في النقاط الثلاث الآتية :

(1) إذا لَبَّسَ الشيطانُ على الـمُصلي في قراءته ، فشكَّكَه ؛ هل قرأ آية كذا أو لم يقرأها؟ مضى في قراءته ، ولا يلتفتُ إلى التلبيس ، أو ينتقلُ إلى سورة أخرى يتلوها ، أو يركَعُ ويُكمِلُ صَلاتَـه .

(2) وإذا شَكَّكَهُ في عَدَدِ الرَّكَعَاتِ ، فإنَّه يبني على ما اسْتَيقَنَ ، أو غَلَبَ على ظَنِّهِ ؛ وهو العددُ الأقلُّ ؛ لقوله ﷺ : (إذا شَكَّ أَحَدُكُم في صَلاتِهِ ، فلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ، ثلاثاً

أم أربعاً، فَلْيَطْرَحِ الشَّكَ ، وَلْيَبْنِ على ما اسْتَيْقَنَ، ثم لْيسجُدْ سَجْدَتين قبلَ أنْ يُسَلِّمَ؛.)

(أخرجه مسلم عن أبي سعيد ﷺ).

(3) فإنْ تكَرَّرَ ذلك كثيراً مَعَهُ ، فأفْسَدَ عليه عبادته ، وأذْهَبَ خُشوعَه ، استعاذَ بالله من الشَّيطانِ الرَّجيم ، ومضى في صلاته ، ولم يلتفت إلى وساوسه ، ويُندَبُ له أن يتفلَ على يَسَارِه ثلاثاً ؛ فقد أخرج مسلم أنَّ عثمان بن أبي العاص ﷺ أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنَّ الشيطانَ قد حَالَ بيني وبين صلاتي وقِرَاءَتي ؛ يَلْبِسُها عليَّ، (أي يَخْلِطُها ويُشَكِّكُني فيها) ، فقال النبي ﷺ : (ذاك شيطانٌ ، يُقالُ له : خِنْزَبٌ؛ فإذا أحْسَسْتَهُ فتعَوَّذ بالله منه، واتْفُلْ عن يسارك ثلاثاً)، قال عثمان: ففَعَلْتُ ذلك ، فأذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي .

المسألة الثانية : إذا أحَسَّ المُصلي بِحَرَكَةٍ في دُبُرِهِ ، أوْ شَكَّ ؛ هل خرج منه ريحٌ أم لا؟ أوْ شَعَرَ بخروج شيءٍ يسيرٍ جداً من البول ، فماذا يفعل ؟

الجواب : إنَّ هذا مِمَّا يُرهِقُ المصابين بالوسواس في الطهارة والصلاة، ويُوقِعُهم في الحرج والمشقة؛ فتراهم يَخرجون من الصلاة ، ويعيدون الوضوء والصلاة مراراً .

والشِّفاءُ مِنْ هذا الوسواس يسيرٌ على مَن استعان بالله تعالى ، وعَقَدَ العزمَ على الاستبراء منه ، والإفلات من قبضة الشيطان ، وسبيل ذلك بثلاثة أمور :

أولاً : الاستعانة بالله تعالى ، والتعوُّذُ به من الشيطان الرجيم ، والتَّفْلُ ثلاثاً عن يساره.

ثانياً : التصميمُ على عدم الالتفات إلى وساوس الشيطان مهما بلغ الأمر ، مقترناً بالإرادة الصلبة ، والعزيمة القوية في الانتصار على الشيطان ، وعدم التراجع أو التقهقر أمامه . وقد بَشَّرَنا رَبُّنا سبحانه بالقُدرة على ذلك لَمَّا قال : { . . . إِنَّ كَيْدَ

الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } (النساء:76)، ولَسَوفَ يَيأسُ مِنكَ بَعدَ حِينٍ.

ثالثاً: (أ) ألا يَخرج من صلاته إلا إذا تيقن خروج الريح، وذلك لا يكون إلا بأحد أمرين: وهـما سماعُ صوت الـخارج (وهو ما يُعرَفُ بالضُّرَاط)، أو شَمُّ رائِحَتِهِ، فإنْ وَجَدَ ذلك فَليَنصَرِفْ، وإلا فليَمْضِ في صلاته، ولا يلتفِتْ إليه، ودليل ذلك ما أخرج أبو داود عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إذا كان أَحَدُكُم في الصَّلاة، فَوَجَدَ حَرَكَةً في دُبُرِهِ؛ أَحْدَثَ أم لَمْ يُحْدِثْ ؟ فأشْكَلَ عليه ، فلا يَنصَرِفْ حتى يَسمَعَ صوتاً ، أو يَجِدَ رِيحاً).

(ب) وأما من كان الشّيطان يُرِيبُهُ كثيـراً. ويُشْعِرُه بـخروج شيءٍ من البول بعد الاستنجاء، فلا يلتفت إلى هذه الوساوس الشيطانية، ويُستحبّ له أن ينضَحَ فَرْجَهُ أو سِرْوالَه بشيءٍ من الماء؛ قطعاً للوسواس، حتى إذا شكَّ حَمَلَ البَلَلَ على ذلك النَّضْحِ، مَا لَمْ يَتَيَقَّنْ خِلافَهُ.

(ج) ومثل ذلك ما يحصل مع المبتلى بِكثرَةِ الشَّكِّ عند الوضوء في غسل بعض الأعضاء، أو في عدد مرات الغسل، فيَعُودُ لِغَسْلِ مَا شَكَّ فيه، وهذا يلزمُه الـمُضِيُّ في وضوئِه، ولا يلتفت إلى ما سبق.

(د) ومن ذلك أيضاً ما يـحدث لِمَنْ ابتُـلِيَ بالوسواس عند قضاء الـحاجة؛ من الإحساس بتطاير شيء من رذاذ البول إلى الـجسم أو الثوب، فيجتهد كثيراً في غسل جسمه وثوبه، وهذا خَطأ كبيـرٌ؛ لأنه لا يـجب غسل النجاسة عن الثوب أو البدن إلا إذا كان وُجُودُها أكيداً، كما أنَّ رذاذ البول الذي لا يرى بالعين، أو يكون كرؤوس الإبَرِ مَعفُوٌ عنه، فلا يـجب غسله.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

لماذا رفض الفلسطينيون

قرار التقسيم في العام 1947م ؟؟

هل ممكن تقييم القرار على ضوء الوضع الراهن ؟؟

بقلم : الأستاذ أحمد محمود القاسم

هناك من يعتقد في العالم العربي أن تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي، هو تاريخ الفرص الضائعة، وأن استمرار هذا الصراع، يعود لعجز العالم العربي عن اغتنام فرص «التسوية» التي أتيحت أمامه، واضطراره المتأخر دائما، للقبول بما كان يرفضه في مراحل سابقة، وأهم هذه الفرص رفض العالم العربي للقبول بقرار التقسيم رقم 181 الصادر في العام 1947م، فهل حقيقة كان القرار المذكور فرصة سانحة لوضع نهاية للصراع العربي الإسرائيلي؟ وما هي مزايا القرار المذكور للجانب العربي حتى يقبلوا به؟

(إن الجمعية العامة .. وقد عقدت دورة استثنائية بناء على طلب السلطة المنتدبة، لتأليف لجنة خاصة، وتكليفها الإعداد للنظر في مسألة حكومة فلسطين المستقلة، في الدورة العادية الثانية..وقد ألفت لجنة خاصة، وكلفتها التحقيق في جميع المسائل والقضايا المتعلقة بقضية فلسطين، وإعداد اقتراحات لحل المشكلة..وقد تلقت وبحثت في تقرير اللجنة الخاصة، بما في ذلك عدد من التوصيات الاجتماعية، ومشروع تقسيم مع اتحاد اقتصادي، أقرته أكثرية اللجنة الخاصة- تعتبر أن من شأن الوضع الحالي في فلسطين، إيقاع الضرر بالمصلحة العامة والعلاقات الودية بين الأمم).

إن السبب الأساسي، لهذا الصراع يكمن في وجود مشروع، صممته الحركة الصهيونية، وتبنته القوى الطامعة في الهيمنة على المنطقة، وأن الهدف لهذا المشروع، هو خلق دولة يهودية صهيونية في فلسطين، يصبح من حق أي يهودي في العالم، أن «يعود» إليها،

ويستوطنها، ويتمتع فيها بحقوق المواطنة كاملة. (توصي المملكة المتحدة بصفتها السلطة المنتدبة على فلسطين، وجميع أعضاء الأمم المتحدة الآخرين، فيما يتعلق بحكومة فلسطين المستقلة، بتبني مشروع التقسيم، والاتحاد الاقتصادي المرسوم أدناه وتنفيذه).

كان الطرف الفلسطيني في حالة دفاع دائم عن النفس، ومطالب بصد هجمة، لا قبل له بها تستهدف أرضه وهويته، وإن تعاطف بعض العرب وبعض المسلمين مع قضيته، لأسباب تتعلق بأمنهم الوطني، أو بمشاعر تضامن قومية أو دينية، لم يرتق بالعلاقات الفلسطينية العربية أو الإسلامية إلى مستوى العلاقات الإسرائيلية مع الولايات المتحدة الأمريكية ومع الدول الغربية.

إن من يتأمل مسار العملية المخططة والمبرمجة لتحويل المشروع الصهيوني من نطاق الحلم، إلى حيز الواقع، يسهل عليه أن يلاحظ، أن الحركة الصهيونية وحلفاءها، ظلوا متحكمين على الدوام، بكل خيوط المبادرة والفعل. ولو أنهم رغبوا في التوصل إلى حل وسط أو إلى مصالحة تاريخية بين أطراف النزاع، لكان أمكنهم التوصل إلى المصالحة منذ زمن بعيد.

عندما صدر وعد بلفور، في العام 1917م بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، كان الهدف المعلن لا يتجاوز «إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين» وصدرت تأكيدات، بأن هذا «الوطن القومي» لا يعني «دولة يهودية»، وعندما تحول وعد بلفور إلى مشروع تتبناه «عصبة الأمم» ورد في صك الانتداب صراحة، التزامه بعدم إلحاق أي ضرر بحقوق السكان الأصليين من العرب الفلسطينيين، ومع هذا عند تنفيذ الوعد المشؤوم، لم يلتزم أصحاب الوعد، بمضمونه وجوهره بما يتعلق بالجانب الفلسطيني.

لقد تم الاستيلاء على الأرض الفلسطينية، بوسائل غير مشروعة، وجرى تدريب وتسليح المهاجرين اليهود الجدد، القادمين إلى إسرائيل، استعدادا لإقامة «دولة يهودية» بقوة السلاح، وطرد السكان الأصليين، من أراضيهم وممتلكاتهم ومنازلهم.

(مجلس الأمن، يعتبر أن كل محاولة لتغيير التسوية التي ينطوي عليها هذا القرار بالقوة

تهديداً للسلام، أو خرقاً له، أو عملاً عدوانياً، وذلك بحسب المادة 39 من الميثاق).

ومع وضوح هذا الإجراء، إلا أن مجلس الأمن الدولي، لم يتخذ أي إجراء ضد الحركات الصهيونية الإرهابية، بل سكت كلية، ولم ينبث ببنت شفة، عن تجاوزاتها وانتهاكاتها لحقوق الإنسان الفلسطيني، وحتى لقرار التقسيم الظالم أيضا بحق الفلسطينيين، بل عملت هذه الحركات على تجاوز قرار التقسيم كلية، باستعمال قوة السلاح، وإرهاب السكان الفلسطينيين عن طريق الاعتقال والقتل، وطردهم من ممتلكاتهم وأراضيهم.

أوضح قرار التقسيم بأنه على الدولة المنتدبة (بريطانيا)، أن تبذل أفضل مساعيها لضمان الجلاء عن منطقة واقعة في أراضي الدولة اليهودية المقترحة، تضم ميناءً بحرياً وأرضاً خلفية، كافيين لتوفير تسهيلات لهجرة كبيرة من اليهود الصهاينة، وذلك في أبكر موعد ممكن، على ألا يتجاوز في أي حال عن 1 فبراير 1948م.

كما نص قرار التقسيم أيضا، أن تنشأ في فلسطين الدولتان المستقلتان العربية واليهودية، والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس، المبين في الجزء الثالث من الخطة، وذلك بعد شهرين من إتمام جلاء القوات المسلحة التابعة للسلطة المنتدبة، على ألا يتأخر ذلك في أي حال عن الأول من شهر أكتوبر 1948م.

أما حدود الدولة العربية والدولة اليهودية ومدينة القدس، فتكون كما وضعت في الجزأين الثاني والثالث.

تمضي اللجنة المشكلة لتنفيذ القرار، لدى وصولها إلى فلسطين، في تنفيذ الإجراءات لإقامة حدود الدولتين، العربية واليهودية ومدينة القدس، بحسب الخطوط العامة لتوصيات الجمعية العامة، بشأن التقسيم، على أن الحدود الموصوفة في الجزء الثاني من هذه الخطة، يجب تعديلها كقاعدة، بحيث لا تقسم حدود الدولة، مناطق القرى، ما لم تقتض ذلك أسباب ملحة. ومع كل هذه الإجراءات القاسية بحق الفلسطينيين، إلا أن اللجنة المنبثقة عن مجلس الأمن الدولي، والحكومة البريطانية المنتدبة، لم توف بالتزاماتها بتنفيذ قرار مجلس الأمن المجحف بحق الفلسطينيين بحذافيره وبنصوصه كما هي، بل تمادت في غيها

وضلالها، ودعمت السلطات الصهيونية ومنظماتها الإرهابية، في تجاوزاتها لرسم حدود التقسيم المقرة من مجلس الأمن الدولي بما نسبته 22 % زيادة على المساحة المقررة.

لم يكن رفض هذا المشروع من جانب العرب والفلسطينيين، فرصة ضائعة كما يدعي البعض، لسبب بسيط، وهو أن التسليم بحق اليهود في 65 % من أراضي فلسطين التاريخية، لم يكن يكفي في حد ذاته، ضمانا لردع الحركة الصهيونية عن اختلاق الذرائع مستقبلا، لاستكمال مشروعها التاريخي، خصوصا وأن هذا القرار غير العادل أصلا، صدر عن جهة، لا تملك سلطة التقرير المنفرد، لمصير شعب، وليس لها إصدار القرار الملزم أصلاً.

يلاحظ أن إسرائيل كانت جاهزة تماما لحرب العام 1948م، وتستعد لها منذ فترة، وهي حرب مكنتها من ضم مساحة تزيد 22 % عن المساحة المقررة لها في قرار التقسيم، ومن طرد ما يقرب من مليون فلسطيني الى خارج أراضيهم وممتلكاتهم، الى الدول العربية المحيطة بفلسطين، كشرق الأردن وسوريا ولبنان، لتخلق مشكلة جديدة حادة، هي مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، والتي يستحيل تسوية القضية، من دون عودتهم الى أراضيهم وممتلكاتهم وتعويضهم عن خسارتهم ومعاناتهم، مهما طال الدهر أو قصر.

عندما بدأ العرب يتخلون تدريجيا عن مطالبهم القديمة، بفلسطين التاريخية، بعد حرب الخامس من يونيو (حزيران) 1967م، وأصبحوا مستعدين لتسوية على أساس حدود الرابع من حزيران 1967م وعودة اللاجئين الفلسطينيين، بذلت إسرائيل كل ما في وسعها لنسف أي فرصة للتسوية، حيث كانت تود الاستيلاء على كامل الأراضي الفلسطينية من النهر الى البحر. ولو أن إسرائيل كانت قبلت العودة إلى حدود 1967م وأبدت استعدادها لتحمل المسؤولية على هذا الأساس، لأمكن حل مشكلة القدس الشرقية تلقائيا، ولأصبحت مشكلة اللاجئين قابلة لحلول مبتكرة، توفق بين حق العودة وبين مخاوف إسرائيل الديموغرافية. لكن إسرائيل أصرت على اعتبار الأرض الفلسطينية المحتلة، أرضا متنازعاً عليها يتعين تقسيمها، وراحت حتى بعد إبرام معاهدة سلام مع

مصر، تكثف مستوطناتها في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين على نحو غير مسبوق. وعندما حاول أحد قادة إسرائيل (اسحق رابين) إبرام اتفاق أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية، اغتاله اليمين الإسرائيلي المتطرف، الذي نجح في نهاية المطاف في وضع العراقيل لنسف اتفاق أوسلو وإلغائه أيضا، ولم تشكل الصفقة التي عرضها باراك في كامب ديفيد الثانية، أساسا لحل دائم، خصوصا أن رابين، رفض أي سيادة فلسطينية أو إسلامية منفردة على المسجد الأقصى، كما رفض الاعتراف بحق اللاجئين في العودة.

أما الحل الذي كان يطرحه شارون، فكان يتمثل في خطة للانفصال أحادي الجانب من غزة، يفترض أن تمهد الطريق لمفاوضات لاحقة مع سلطة فلسطينية معتدلة، عليها أولا أن تثبت جدارتها في تصفية فصائل المقاومة، قبل أن تنال شرف الجلوس على مائدة المفاوضات مع المجرم شارون، ولتحصل على مساحة إضافية من الضفة الغربية، قد تصل إلى24%، وبذلك يمكن إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح خلال مرحلة قد تستغرق عشر سنوات وعلى مساحة لا تتجاوز 10%من فلسطين التاريخية.

اعتبر شارون أن هذا الحل كريم وشجاع، إلى درجة تستحق ثمنا كبيرا، قبل أن يدفعه بوش راضياً في صورة خطاب ضمانات، مكتوب يوافق فيه على الموقف الإسرائيلي لعودة اللاجئين ولحدود 1967م. المذهل في الأمر، أن حزب الليكود، لم يوافق على الخطة، موجها صفعة قاسية للرئيس بوش، بعد أن حصل شارون منه على ضمانات، لم تكن تحلم بها إسرائيل. وبصرف النظر عما إذا كانت هذه المناورة تدخل في لعبة توزيع الأدوار، أم تنم عن خلافات حقيقية في وجهات النظر، إلا أن حزب الليكود يعرف أنه لن يكون بوسع بوش أن يتراجع عن الضمانات التي قدمها، خصوصا في سنة انتخابية، كما يعرف أن اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة، سيكون جاهزاً لكي يحول خطة شارون في نهاية المطاف، إلى سقف للمطالب الفلسطينية والعربية.

إن المشكلة الحقيقية تكمن في أنه في الوقت الذي راح العرب، يبحثون عن حل عادل أو تسوية نهائية، مظهرين استعدادهم لحل وسط تاريخي، ظلت إسرائيل منشغلة بإدارة

الصراع على نحو يقربها من تحقيق أهدافها النهائية، من دون أن تلقي بالاً لأي حلول وسط، وعند الحديث عن الاحتياجات الأمنية، لا يؤخذ في الاعتبار سوى أمن إسرائيل، التي تملك عشرات القنابل الذرية وترسانة هائلة من جميع أنواع أسلحة الدمار الشامل، إضافة إلى واحد من أقوى وأفضل جيوش العالم تسليحاً وتدريباً.

على العرب والفلسطينيين خاصة، تحميل الدولة المنتدبة البريطانية مسؤولية تطبيق قرار مجلس الأمن الدولي رقم 181 الصادر في العام 1947م، لأنها هي المسؤولة الأولى عن تنفيذ القرار، وهي التي تملك القوة العسكرية الشرعية حينها، وهي التي أشرفت على انسحاب قواتها، وتسليم الأراضي لليهود الصهاينة، فالدولة البريطانية المنتدبة، لم تلتزم بما عهد إليها من تنفيذ للقرار الجائر بحق الفلسطينيين، بل ساهمت بكل قوة في دعمها للعصابات الإرهابية الصهيونية، وأغمضت عينيها عن تجاوزاتهم، كما عملت في الوقت نفسه، على التنكيل بالفلسطينيين، بشتى الوسائل الإجرامية والإرهابية من اعتقالات وقتل وتعذيب، لمصلحة اليهود الصهاينة. فنحن أبناء الشعب الفلسطيني، نحمل الحكومة البريطانية المنتدبة، والحكومات البريطانية المتعاقبة على الحكم من بعدها، مسؤولية عدم التطبيق الحرفي لقرار التقسيم 181 لسنة 1947م، ونحملها مسؤولية السكوت على التجاوزات اليهودية الصهيونية، وإرهابها للمواطنين الفلسطينيين، ونطالبها بدفع التعويضات المناسبة للفلسطينيين، جراء ما الم بهم من معاناة وتنكيل وتقتيل وهجرة، من قبلهم أو بسببهم، إن مضي ستين عاما على نكبة الشعب الفلسطيني، وقيام الدولة اليهودية الصهيونية المحتلة على أنقاض الشعب الفلسطيني، تعتبر أياما من عمر الشعوب لا تعني شيئا، فهناك دولٌ كثيرة، عاش الاحتلال بها لأكثر من مائتي عام، وحتى ضعف هذه المدة أيضا، ولكن الشعوب المحتلة طردت الاحتلال من أراضيها، واستطاعت تحقيق استقلالها، وحق تقرير مصيرها بنفسها، وإن استقلال شعبنا الفلسطيني لناظره قريب.

التديـــن
بين المظهر والجوهر

أ.د. حسن عبد الرحمن سلوادي / عميد البحث العلمي والدراسات العليا/ جامعة القدس المفتوحة

مقدمة:

توطئة لبيان حقيقة التدين وسماته وركائزه، لا بد من التطرق أولاً لمفهوم الدين نفسه؛ لأن التدين تابع للدين وملازم له ، وأثر من آثاره، وتطبيق عملي لمبادئه ومرتكزاته. ومعلوم أن الدين هو جوهر الوجود ، ومُكوّن أساسي من مكونات النفس البشرية ، وهو مَفْصل رئيس في حياة البشر أفراداً وجماعات منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا ، والشاهد على ذلك أنه لا تكاد مدينة من مدائن الحضارات القديمة ، أو مركز عمراني من مراكزها في شتى أرجاء العالم يخلو من معبد تقام به الصلاة والأدعية وتقدم فيه القرابين ، وتمارس فيه الطقوس والشعائر على اختلافها وتنوعها.

ومن هنا فإن الدين ، بمفهومه العام الذي تشترك فيه الأديان كافة ، اعتقاد جازم وإيمان عميق بالإله الخالق المهيمن الذي يتصف بالكمال والقدرة والتصرف بالإنسان والكون(1). وبهذا المعنى فإن الدين رديف للفطرة الإنسانية ، وقرين لها ، فالفطرة السليمة هي دين الله . والفطرة في جوهرها إنما هي فكر سليم وقلب سليم . يقول الله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (2).

تعريف التدين

التديُّن لغة من تدين بمعنى اقترض فصار مديناً، وتديَّن بكذا دان به ؛ أي اتخذه ديناً وتعبد به ، واصطلاحاً هو الالتزام بتعاليم الدين والوفاء بمقتضيات الإسلام والإيمان

والإحسان بأداء العبادات ، وفعل الطاعات واجتناب النواهي والسيئات ، وترك ظاهر الإثم وباطنه ، وحفظ حق الله والعباد.

والتديُّن بهذا المعنى درجات أدناها التلبس بالمظاهر الخارجية في الأشكال والرسوم والأزياء ، وجعلها معياراً للحكم على مدى تديّن الأشخاص ذكوراً أو إناثاً ، مع أن المظاهر قد تكون خادعة لا تعكس حقيقة ما تنطوي عليه نفس صاحبها من خير أو شر، وأعلاها درجة الاستقامة ، والتزام الإنسان في حركاته وسكناته ، وبكل ذرة من ذرات وجوده ظاهراً وباطناً ، قولاً وعملاً بما أمر الله به ، ونهى عنه في كل شأن من شؤون الحياة . ومن هنا يتفاوت وربما يختلف التدين باختلاف التوجهات والثقافات ، ومبلغ ما يصل إليه الإنسان من العلم ، بل إن التدين في الملة الواحدة ، ولدى اتباع دين بعينه تتعدد أنواعه وصوره بقدر ما يقترب أولئك الأتباع من حقيقة دينهم ويلتزمون بتعاليمه وتشريعاته أو يبتعدون عنها ، وفيما يأتي بيان بذلك.

التدين الحقيقي

المدخل الرئيس للتدين الصحيح هو الاستقامة التي أمر الله بها في قوله تعالى : (فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (3) ، وقوله تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (4) ، ويقترن بالاستقامة ويلازمها الالتزام بتعليمات الشرع وأوامره ونواهيه، والتحلي بآدابه وتوجيهاته كما يجلِّيها كتاب الله ، وسنة رسوله الكريم وسلوك الصحابة والتابعين الذين وصفهم سيد الخلق منوها بهم بقوله : (**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**)(5).

وقد أوضح الرسول الكريم الحدود الفاصلة بين التدين الحقيقي وغيره حين قال: (**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**) (6)، فالحديث الشريف ينص صراحة على أن لدى الإنسان في سلوكه ومواقفه وعباداته ظاهراً وباطناً، فإذا ما اتسق المظهر مع المخبر والظاهر مع الباطن ، وإذا ما تلاشت الفروق بينهما قولاً وعملاً، كان ذلك إمارة من إمارات التدين الحقيقي، وسمة من سمات التقوى والإيمان

العميق الذي يتغلب به الإنسان على نوازع الشر والآثام المستترة في النفس، كالتحاسد والبغضاء والأحقاد والشحناء ، والبغي في القول والعمل. (**قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب ، صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه ، فما مخموم القلب ؟ قال: هو التقي النقي لا إثم فيه ولا بغي ، ولا غل ولا حسد**) (7). وهذه من إمارات الإيمان الحقيقي الذي لا تكتمل صورته ، ولا ترسى قواعده بالتمني ولا بالتحلي ، وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وفي ذلك يقول الشاعر:

وإذا بحثتَ عن التقيِّ وجدتَه رجُلاً يُصدِّق قولَه بفِعالِ (8)

وقد حدد الله في كتابه الكريم علامات هذا الإيمان وسماته بقوله تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ) (9) ، وكذلك أوضح رسولنا الكريم ملامحه وتجلياته في حياة البشر بقوله: (**إذا ساءتك سيئتك وسرتك حسنتك فأنت مؤمن**) (10) وقوله : (**إذا أراد الله بالعبد خيراً جعل له واعظاً من نفسه**) (11)، فالإنسان المؤمن إنما يوازن في حياته بين الرجاء والخوف: الرجاء في المثوبة والفوز بالجنة التي وعد بها المتقون ، والخوف من النار التي أعدها الله للكافرين في الآخرة ، وكذلك يجعل من نفسه واعظاً يوجهه إلى الخير والتقى والصلاح ، وينهاه عن الآثام والشرور والمعاصي ، ومن هنا انبثقت فكرة الصوفية وتمييزهم بين الظاهر والباطن ، فتعاهد القلوب -في رأيهم- أولى من تعاهد الظاهر؛ لأن صلاح الظاهر لا يلزم فيه صلاح الباطن ، أما صلاح الباطن فهو مستلزم لصلاح الظاهر ، ويضربون على ذلك مثلاً البيت الذي يتخذه الإنسان سكناً وراحة ، فلا يكون مثل هذا البيت سليماً بحال إذا كان طلاؤه الخارجي حسناً وأساساته منهارة.

والتناغم بين الظاهر والباطن من أوكد الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الدعاة إلى الله ، فربما كان الداعية عالماً حكيماً ، ولكن ليس له تأثير فيمن يعظهم ويدلهم إلى سبل الرشاد ؛ لأن معارفه وحكمه إنما هي صور ذهنية مقطوعة عن السلوك، وقد حذرنا الرسول الكريم من علم لا يفتح لصاحبه طريق العمل فقال: (**العلم علمان: علم في**

القلب فذاك العلم النافع ، وعلم اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم) (12). أما الحسن البصري فقد ألمح من جهته إلى ظاهرة انعدام التأثير لدى الداعية وحاول تشخيصها ، وبيان أسبابها حيث يروى « أن رجلاً قال في حضرته كلاماً حسناً فقال له الحسن : يا هذا إما أن يكون بنا عيب أو بك ، فإن قولك لم يؤثر فينا .

ويستند التدين الحقيقي ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ إلى جملة من الركائز أهمها النية الصادقة الخالصة والمبرأة من الأغراض والأهواء ، وعدم التجاهر بالمعاصي أو السكوت عنها بما يوحي بإقرارها أو التهوين من أمرها ، والتحلي بالعلم والحكمة ، وذلك بأن يعلم المرء ويعرف بما أمر ويستقيم عليه، والمواظبة والتدرج في بناء علاقة إيجابية قائمة على الإخلاص مع الله والنفس والآخرين والطبيعة ، والتناغم مع العصر والانفتاح على الآخرين ؛ لأن التدين لا يعني الانطواء والجمود والعزلة عن الناس والتعالي عليهم ، بل لا بد من الاندماج معهم ومشاركتهم في شتى مناحي حياتهم بإحسان وتواضع دون كبر أو غرور، فقد أُثر عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- قوله: (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه ذرة من كبر**) (13).

آثار التدين الحقيقي في حياة المسلم

لا شك في أن التدين بمفهومه الذي بيّناه يعد حلية وميزة لمن يتصف به من أبناء المسلمين ، وهو خلق مستحب ومأجور عليه في إطار علاقة الإنسان بربه ، وسلوكه وتعامله مع أبناء مجتمعه والمقربين إليه ، فلا ينبغي والحال هذه أن يكون موضعاً للتفاخر والمباهاة ، أو يتحول إلى وسيلة أو ذريعة لتحقيق مآرب خاصة في نفس صاحبه.

وللتدين آثار عميقة في سلوك الإنسان المسلم حيث يصبح شخصاً آخر من حيث اليقين والثبات ، وتحمل الصعاب والمتاعب في سبيل الحفاظ على معتقده وصون نفسه من الانزلاق في الطرق المؤدية إلى المعصية ، ويتوهم بعضهم أن التدين مرادف للكآبة والجدية المطلقة ، والانغلاق والابتعاد عن المزاح والضحك ، وارتداء الثياب القذرة أو المهملة على سبيل الزهد والتفرغ للآخرة . وحقيقة الأمر أن التدين الحقيقي يشكل

حجر عثرة أمام التشاؤم والانطواء والانحراف ، وهو يقود إلى التفاؤل والثقة بالنفس والدافعية للإنجاز والمرونة والشعور بالمسؤولية والانسجام والتوافق الأسري والمجتمعي والكوني.

إن التدين الحقيقي يجعل من الإنسان المسلم عنصراً إيجابياً مدركاً بأن الحياة ليست كلها تبعات وتكاليف وجِدًّا ووقاراً ، بل لا بد من توافر قسط من الراحة والاستجمام والتسلية في حدود الآداب الإسلامية ، وقد أوصانا رسولنا الكريم بهذا حين قال : (**روِّحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلّت عميت**) (14). وكان الرسول –صلى الله عليه وسلم– قدوة لصحابته بمزاحه وتفاؤله ، فقد روي عن عبد الله بن الحارث أنه قال: (**ما رأيت أكثر تبسماً من رسول الله**) (15) ويؤكد علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه– هذا المنحى بقوله: (**إن القلوب تملُ كما تملُ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكم**) (16).

وهكذا يحرك التدين في نفس صاحبه شعوراً دافقاً بالمحبة والتفاؤل والإقبال على الحياة ، ويجعل منه شخصية إيجابية أو طاقة حية ، مولِّدة للخير والنفع لأفراد أسرته وأبناء مجتمعه وللإنسانية جمعاء بما يتسق ورسالة الإسلام نفسها بشموليتها واعتدالها وانفتاحها على الآخرين ، وحرصها علىّ العدل والمساواة بين البشر الذي تجسده الآية الكريمة : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (17) ، والآية الكريمة (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى) (18).

التدين المغشوش

إذا سلك الإنسان في حياته مسلكاً خالف فيه باطنه ظاهره ، ولم يستطع بالرغم من تظاهره بالنسك والعفاف والتدين من أن يحفظ قلبه من الغل والحسد والشحناء والبغي، وإذا ما ارتكبت جوارحه العديد من المعاصي وحاول التستر عليها بالعبادة والتظاهر بالورع ، فإن ذلك كله يندرج في إطار التدين المغشوش أو المغلوط كما

يسميه الغزالي ، أو المكذوب أو القشري أو المنقوص كما يسميه غيره من الفقهاء. ومع اختلاف هذه التسميات ، فإنها تتفق جميعاً على أن هذا اللون من التدين إنما هو ضرب من النفاق والخديعة. والغش فيه واضح وجلي ، مصدره إما سوء فهم أو سوء سلوك وتطبيق.

وتطالعنا في حياتنا العامة نماذج عديدة وصوراً نمطية مختلفة لأشخاص يتباين مظهرهم عن مخبرهم ، وتختلف سرائرهم عن ظواهر أعمالهم ، ولا يظهر أثر العبادات على سلوكهم وتصرفاتهم، فنحن نجد رجالاً ادعوا التدين وتظاهروا به ، ونسبوا أنفسهم إلى أهل التقوى والصلاح ، فأطلقوا لحاهم ، وقصروا أثوابهم ، ولكنهم حادوا- تحت تأثير الهوى والنفس والتكالب على الدنيا - عما تعاهدوا عليه من ورع وطهر. ونجد دعاة يظنهم الناس رموزاً للتدين والإخلاص للعقيدة ، ويطلقون عليهم هالة من العصمة يصبحون معها مبرئين من النقد والمراجعة ، ولكنهم يخفون في بواطنهم نزعات تجنح بهم إلى الانحراف والسلوك المشين.

وتشكل هذه النماذج على قلتها ظاهرة ملموسة في مجتمعنا العربي والإسلامي في القديم والحديث ، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الحركات التي تتخذ من الدين ذريعة لتحقيق مآربها ومطامحها السياسية والدنيوية. وقديماً عبر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عن هذه الظاهرة خير تعبير حين خاطب نفراً من فقهاء بغداد وعلمائها قائلاً : (**كلكم طالب صيد، كلكم يمشي رويد غير عمرو بن عبيد**) (19).

ولعل ما يدعو للأسف أن نجد وسائل الإعلام السمعية والبصرية ورسامي الكاريكاتير في الصحف والدوريات المحلية والأجنبية يتفنُّنون في عرض صور نمطية لهذه النماذج المسيئة للإسلام ، ويقدمونها للقراء في قالب هزلي ليس بهدف الإصلاح والتقويم والتنبيه إلى مخاطر هذه الفئة الضالة من الناس ، وإنما بهدف التشويه والانتقام والحط من شأن الإسلام ، والتهوين من أمره في نفوس معتنقيه والمتشبثين به، وكأنهم يتوجهون إلى عامة الناس ويخاطبونهم قائلين: هاهم رجال الإسلام ودعاته ، وهاهم رموزه التي

تكنِّون لهم كل التقدير والاحترام. إنهم يصلون الفرض ويفسدون في الأرض ، ولا يتورعون عن الانغماس في المنكر والمحرمات.

ومن المؤكد أن من يتصفون بهذه السمة من أبناء المسلمين ليس من السهل كشفهم أو التعرف إليهم ، ولكن لا يعدم من يخالطهم أو يتقرب إليهم أن يجد إمارات وإشارات تند عنهم وتكشف حقيقة أمرهم ، وهي في مجملها إشارات وعلامات للتدين الخادع أو المكذوب ، وأهمها أنهم يظهرون خلاف ما يبطنون ، ولا يميزون بين العقائد والأعمال، وبين الكبائر والصغائر، وبين الفرائض والنوافل ، وبين المحرمات والمكروهات، ولا يفرقون بين المختلف فيه والمتفق عليه ، فتراهم يركزون على الإشكاليات والرسوم والبدع والقضايا الخلافية ، وينافحون عنها ، ويتمسكون بها مع أنهم يعلمون يقيناً أن إثارة مثل هذه المسائل والتركيز عليها وإشاعتها ، ليس لها من غرض سوى إضعاف الإسلام في النفوس وانتقاص قيمه وتشريعاته ومبادئه المطلقة ، بل إن بعضهم يعمد على سبيل التمويه والخداع إلى الغلو في الدين متناسين قول الرسول – صلى الله عليه وسلم- : (**إياكم والغلو في الدين ؛ فإنما أهلك من قبلكم الغلو في الدين**) (20)، وقوله : (**هلك المتنطعون**) (21) ، وكررها ثلاث مرات تنويهاً بعظم تأثيرها وخطورة أمرها ؛ لأن التدين المبالغ فيه عبء على الحياة بدل أن يكون حافزاً وعاملاً على عمارتها واستثمارها بصورة مجدية ونافعة.

التدين المغشوش ونزعة التسلط

يتوهم بعض المتظاهرين بالتدين أن تدينهم المكذوب يمنحهم تفويضاً غير محدود لفرض آرائهم وتوجهاتهم على الآخرين ، أو يجعل منهم أوصياء على أبناء جلدتهم من المسلمين بالقوة والإكراه ، بل إن نفراً منهم يظنون أنهم وحدهم من يمتلك الحقيقة، ويتصرف بها ، فبمجرد أنهم يغالون في صلواتهم وصيامهم ويطلقون لحاهم يعتقدون أن من حقهم أن يوجهوا الناس حسب مشيئتهم ووفق أهوائهم ، بل لا يتورع بعضهم عن اللجوء إلى العنف والإكراه وتكفير الآخرين ، وإنكار حقهم في الاختلاف الذي

أكده الله تعالى بقوله : (وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (22) ، وذلك ضماناً لخنوعهم واستكانتهم ، وقبول ما يملى عليهم من آراء وأفكار لا تخلو من التطرف والإسفاف.

إن غالبية الناس ينظرون إلى هذا الصنف من المتدينين نظرة خوف وارتياب ، وينطوي ذلك على خطورة كبيرة قد تحيق بأبناء المجتمع ، لأنها تهدد السلم الأهلي ، وتنذر بضعف لحمة النسيج الاجتماعي وتفسخها ، كما تشكل خطراً على الإسلام نفسه لأنه يخالف تعليماته ومبادئه ، فالتدين في الإسلام لا يكون بالإكراه والغصب يقول تعالى : (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ) (23) ، ويقول تعالى : (فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ) (24) ، ويقول جلا وعلا مخاطباً نبيه الكريم: (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) (25)، وتنطوي هذه الآية الكريمة على قدر عظيم من التواضع ، فالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم– وهو الموحى إليه من الله يعلن صراحة أنه لا يعرف مثل سائر الناس مصيره ، ويحدد مهمته بأنها لا تعدو التبليغ والإنذار، وتوضيح رسالة رب العالمين للناس أجمعين دون جنوح إلى البغي والأذى والإكراه التي حرمها الرسول صراحة في أحاديث كثيرة منها : (**بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله**) (26) ، وقوله : (**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**) (27) ، وقوله أيضاً : (**واللّه لا يؤمن ، واللّه لا يؤمن ، واللّه لا يؤمن ، قيل من يا رسول اللّه ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه**) (28).

لقد سئل أحد الصوفية عن حقيقة التصوف فقال : (**الصدق مع الحق والخُلُقُ مع الخَلْق**) (29)، وهكذا يكون حال المتدين الحقيقي الذي ينبغي أن يكون مصدر أمن وسلام لمن حوله ، فيشعر جاره أو صديقه أنه أمين عليه وعلى أولاده ، ويعامله بلطف وتواضع مقتدياً بذلك بالرسول الكريم : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (30)، فقد كان الرسول –صلى الله عليه وسلم– قرآنا يمشي بين الناس بحلمه

وتواضعه ومحبة الناس له. والشواهد على ذلك كثيرة لا تحصى منها « أنه –صلى الله عليه وسلم– كان في سفر فأمر أصحابه بذبح شاة فقال أحدهم: عليّ ذبحها وقال آخر: وعليَّ سلخها، وقال آخر: وعليّ طبخها، فقال الرسول –صلى الله عليه وسلم– وعليّ جمع الحطب. فقالوا له: نكفيك العمل، فقال: لا، علمت أنكم تكفونني، ولكنني أكره أن أتميز عليكم » (31) . « ويحكي أبو هريرة – رضي الله عنه – دخلت السوق مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم– ليشتري سراويل ، فوثب البائع إلى يده يقبلها ، فجذب النبي – صلى الله عليه وسلم – يده قائلاً: هذا ما تفعله الأعاجم بملوكها ، ولست بملك إنما أنا رجل منكم ، ثم أخذ السراويل ، فأردت أن أحملها فأبى ، وقال: صاحب الشيء أولى بحمله) (32).

من أجل ذلك وصف الله تعالى رسوله – صلى الله عليه وسلم– بالرحمة ولين الجانب، مما كان سبباً في نجاح دعوته واستمرارها يقول تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (33) ، ويقول تعالى : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) (34). فإذا كان الحلم والتواضع والرحمة من سجايا الرسول –صلى الله عليه وسلم– فكيف يعذر من يتظاهر بالتدين إذا اتصف بالكبر والغرور والقسوة ، واتخذ من تدينه سبيلاً للسيطرة وذريعة للتحكم والهيمنة والتسلط على رقاب الآخرين ؟ إنه بسلوكه هذا إنما يهدم ولا يبني ، ويفرط ولا يصون ، ويقسو ولا يرحم مع أن رحمة الله لا تسعها أرض ولا سماوات.

خاتمة

اتضح لنا من العرض السابق أن التدين قد يكون حقيقياً تجسده الآية الكريمة: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (35) وهو بهذا المعنى ينسجم مع الفطرة التي فطر عليها البشر وهي الفكر السليم والقلب السليم، (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى

اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (36) ، وتستدعي سلامة الفطرة القيام بحق الله تعالى أولاً وحق عباده ثانياً، (وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) (37).

وقد يكون التدين مغشوشاً أو مغلوطاً إذا كانت طبيعة الفرد القلبية قد أفسدتها الأهواء والخرافات ، ولا ينفي هذه الصفة أو يلغيها تظاهر الفرد بالعبادة ومغالاته فيها، واتخاذه سمات المؤمنين الصالحين ، بل لا بد أن يتسق الظاهر مع الباطن على أن يكون الباطن سليماً من الأهواء والنزاعات التي تحرف صاحبها عن النهج القويم في العبادات والمعاملات والتكاليف الشرعية.

على أن المشكلة الحقيقية التي تطفو على السطح فيما يتعلق بمسألة التدين وما لها من تأثير في الفرد والمجتمع هي الخلط بين الصحيح والفاسد ، وعدم التمييز بين التدين الحقيقي والمغشوش ، فمثل هذا الخلط يؤدي إلى اضطراب وبلبلة في الرأي ، ويولد غبشاً في الرؤية والتقويم ، وصدق الله تعالى حيث يقول: (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً) (38) (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً) (39) ، وهنا مكمن الخطورة ، لأن أصحاب الزيغ والضلال لا يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم ينحرفون بأعمالهم عن جادة السبيل، ولذلك يرتكبون بحق أنفسهم وأبناء مجتمعهم كل الآثام والمعاصي ، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً مشكلين بذلك خطراً داهماً يهدد وحدة المجتمع وأمنه واستقراره.

من أجل ذلك ينبغي على العلماء المتنورين من أبناء الأمة المبادرة لكشف هذه المظاهر الخادعة ، وإظهار مخاطرها وتوعية عامة المسلمين بضرورة التمييز بين الحقيقي والزائف، ورؤية الحقائق كما هي دون أن ننخدع بالأسماء والعناوين والرموز والشعارات، والتركيز بدلاً من ذلك على المضامين وتجليّات العمل والسلوك والالتزام بقواعد الشرع ظاهراً وباطناً.

ومن المؤكد أن المعيار الحقيقي للتمييز بين الصحيح والفاسد في مسألة التدين يتمثل

في قول الرسول –صلى الله عليه وسلم– : (**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لم تضلوا أبداً، كتاب الله وسنتي**) (40) ، وفي ذلك ضمانة للفهم ، وحافز للاتفاق ونبذ الفرقة والخلاف بين أبناء الأمة التي أتعبتها المشاحنات والانقسامات والفتن الداخلية ، وعصفت بها الخلافات المذهبية والطائفية والقطرية ، وأقعدتها عن مواجهة التحديات الخارجية التي تكاد تهدد وجودها ، وأشغلتها عن معالجة القضايا المصيرية الخاصة بتنمية المجتمع وازدهاره ، وتقدمه في شتى الميادين ، ولا سيما في المجال العلمي والتكنولوجي، مما يعيد لها دورها الريادي المنتظر في قيادة البشرية وتوجيهها صوب الفضيلة والهدى والرشاد.

الهوامش

1. انظر الصفحة الإلكترونية للشيخ يوسف القرضاري ، باب المحاضرات والخطب ، www.qaradawi.net .
2. الروم:30.
3. هود:112 .
4. الفاتحة: 5.
5. أخرجه رزين ، وله طرق ضعيفة.
6. رواه مسلم من حديث أبي هريرة.
7. أخرجه ابن ماجة من حديث عبدالله بن عمر بإسناد صحيح ، حديث رقم 4216.
8. انظر ، بدر بن نادر المشاري ، يا رب جئتك ، الصفحة الإلكترونية www.saaid.net.
9. الزمر :9.
10. رواه أحمد ، صحيح الترغيب ، رقم 1739.
11. الديلمي ، مسند الفردوس ، وانظر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال رقم 30762.
12. أخرجه الترمذي في النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلاً بإسناد صحيح، وأسنده الخطيب في التاريخ عن رواية الحسن بإسناد جيد. وقال الألباني : منكر مرفوعاً.
13. رواه البخاري ، ورواه مسلم عن ابن مسعود،91.
14. رواه الديلمي وأبو نعيم والقضاعي عن أنس.
15. رواه الترمذي.

16. رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، 1292.
17. الحجرات :13.
18. المائدة :8.
19. ابن الجوزي ، المنتظم في التاريخ ،8 : 58 – 61.
20. حديث صحيح ، أخرجه النسائي وابن ماجه في سننه وصححه الألباني .
21. رواه مسلم.
22. هود: 118.
23. يونس :99.
24. الكهف:29.
25. الأحقاف :9.
26. رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن.
27. متفق عليه.
28. متفق عليه ، رواه البخاري ، كتاب الآداب باب إثم من يأمن جاره بوائقه رقم:6016، ومسلم كتاب الإيمان ، باب تحريم إذاء الجار رقم:26 .
29. انظر مقابلة مع الشيخ يوسف القرضاوي ، برنامج الشريعة والحياة ، قناة الجزيرة الفضائية، www. aljazeera.net
30. الأحزاب : 21.
31. رواه المحب الطبري ، الزرقاني ، شرح المواهب' 4:265
32. رواه الطبراني في الأوسط وابن عساكر.
33. آل عمران : 159.
34. التوبة :128 .
35. الأنعام: 162 .
36. الشعراء 88-89.
37. لقمان :22.
38. فاطر :8.
39. الكهف : 103-104.
40. رواه الحاكم.

بين الصدق والكذب

بقلم : الدكتور سعيد القيق / عميد كليتي الدعوة والقرآن / جامعة القدس

قال عبد الله بن المقفع: ((**إن الكذاب لا يكون أخاً صادقاً ، لأن الكذب الذي يجري على لسانه إنما هو من فضول كذب قلبه، وانما سُمي الصديق من الصدق**)).

وهذا حق فإن الكذاب لن تكون أخوته صادقة، ولا معاملته صادقة، ومن ثم فلن يكون الكذاب زعيماً صادقاً، ولا حاكماً صادقاً، ولا موظفاً صادقاً، ولا عاملاً صادقاً، ولا عالماً صادقاً...

ومن هنا لم يُجمع علماء الأخلاق، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع على الإشادة بفضيلة كفضيلة الصدق، والتنويه بالرؤية كرؤية الكذب وخطره على الأفراد والجماعات، ولو استعرضت مشكلات العالم كله لوجدتها ترجع إلى شيء واحد هو الكذب: كذب السياسي على شعبه، وكذب الحزب على أتباعه، وكذب العالم على العامة، وكذب التاجر على زبائنه، وكذب الصديق على صديقه، ولو صدق هؤلاء جميعاً لاستقامت الحياة واستفاضت الثقة، واطمأن الناس بعضهم إلى بعض.

فوفروا على أنفسهم خصومات وعداوات وخلافات لم تنشأ إلا من فقدان الثقة بالأحاديث والمواثيق والمعاملات...

إن الصدق عدا عن كونه أساس الفضائل النفسية، هو ضرورة من ضرورات الاجتماع بل هو أكبر أبواب السعادة للأفراد والجماعات.

فالزعيم الصادق أنجح الزعماء مسعى، وأكثرهم أتباعاً، والسياسي الصادق أكثر السياسيين تأييدا من الشعب، وأجلهم في عيونه مقاماً، والتاجر الصادق أكثر التجار زبائن وأكثرهم ربحاً.

ولعل أصدق ميزان لرقي أمة من الأمم صدق أفرادها في أقوالهم وأعمالهم، فلو كان وجهاء الأمة ومثقفوها وساستها يثق بعضهم بأقوال بعض، لما وصلنا إلى هذه الحال المؤسفة من الفوضى وعدم الاستقرار.

وإلا ففيم تختلف هذه الأصناف فيما بينها ويسب بعضها بعضاً ؟ إنه فقدان الثقة بالأقوال والأحاديث والخطب... يجعل كل فريق يقف من الآخر موقف الذي يشك ولا يثق ، ويسيء الظن ولا يحسنه.

نستطيع إذاً ان نؤكد مرة أخرى أن مشكلة الناس اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب.. الكذب في الأقوال، والكذب في الأعمال والكذب في النيات. والكذب في المظاهر، فليس غريباً إذاً أن تقف الشرائع كلها متشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب.

والإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكذابين وأكثرها تنويهاً بالصدق والصادقين فهو يجعل الصدق قرين التقوى فمن فقد الصدق فقد التقوى، حين يقول القرآن الكريم: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)) (التوبة:119).

بل هو يعتبر الصدق مفتاح البر والكذب مفتاح الإثم والفجور، حين يقول صلى الله عليه وسلم : ((**الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار**)). رواه البخاري ومسلم.

ومن فلسفة الكذب في الإسلام انه عنوان خيانة كبرى، يقول عليه الصلاة والسلام:

((**كبرت خيانة تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت به كاذب**)) (مسند احمد، مسند الشاميين ، حديث النواس بن سمعان)

إن الكذب جبن وخسة وجرأة على الله يستحق الكاذب من أجلها اللعنة والطرد من رحمة الله، قال تعالى: ((فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)). (آل عمران: 61).

والكذاب لن ينجح في حياته، ولن يهتدي إلى الحق والخير، فسينكشف للناس ما به من جبن وخسة تجعل الخيبة ملازمة له في شأنه كله.

ذلك وعيد الله للكاذبين حين يقول: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)) (غافر:28)، وحين يقول: ((وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى)) (طه:61).

نستطيع إذاً ان نؤكـــد مرة أخرى أن مشكلة النـاس اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب.. الكذب في الأقوال، والكذب في الأعمال والكذب في النيـــات. والكذب في المظاهر، فليس غريباً إذاً أن تقف الشرائع كـــلها متشددة في خلق الصدق، منكرة رذيلة الكذب.

محبّة الأوطان من دلائل الإيمان

بقلم الأستاذ: كمال بواطنة / وزارة التربية والتعليم العالي

يقال : (**محبّة الأوطان من دلائل الإيمان**) ، وما شرع الجهاد في سبيل الله إلا للدفاع عن العقيدة والأوطان، وقدوتنا في حبّ الوطن سيّد الخلق- صلى الله عليه وسلّم- الذي لمّا أخرج من مكّة مهاجراً إلى المدينة نظر إليها نظرات حانية، وقال مخاطباً إياها: (**والله إنّك لأحبّ أرض الله إليّ، وإنّك أحبّ أرض الله إلى الله، ولولا أنّ أهلك أخرجوني منك ما خرجت**)(الترمذيّ)، وكيف لا يحبّ الإنسان وطنه، وعلى أديمه درج، ومن هوائه تنفّس، ومن مائه ارتوى، ومن خيراته طعم، وفي ظلاله استراح...؟!

وللأوطان في دم كلّ حرّ يد سلفت ودين مستحقّ (شوقي)

وعندما يذكر الوطن تجيش العواطف، وتعتري المرء نشوة، وعندما يغزو الوطن غاز تحشد الطاقات، وتبذل المهج والأموال، وحتّى لو ظُلم المرء في وطنه؛ فإنّ هذا لا يقلّل من حبّه وطنه

بلادي وإن جارت عليّ عزيزة وأهلي وإن ضنّوا عليّ كرام

فليس ظلم الإنسان في وطنه مبرّراً للكره، أو التفريط في حبّة تراب منه. يقول الأصمعيّ: سمعت أعرابياً يقول: « **إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه** »، ويقول الأصمعي أيضاً: « **قالت الهند : ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوان : الإبل تحنّ إلى أوطانها، وإن كان عهدها بها بعيداً، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدباً، والإنسان إلى وطنه،**

وإن كان غيره أكثر له نفعاً ».

إنّ ذكر الوطن عندنا، أهل فلسطين، له طعم خاصّ، هذا الوطن الذي عاش فيه أجدادنا آلاف السنين، وضمّ عظامهم، ثمّ يأتي من يزعم من شهود الزور أنّه وطن بلا شعب، ويحاول ليل نهار طمس معالم التاريخ، ولكنّ الأمر كما صوّره الشاعر المصريّ محمد التهاميّ :

إنّ الذي زيفوه كلّه كـــــذب ما لليهود بــأرض أهلهـــــا عرب
ولو بنوا فوقها الأطواد شـــــامخة وأسكنوا في حماها كلّ من جلبوا
ولو تعاون في إسكـــــانهم دول وقدّموا لهم كـــــلّ الذي طلبوا
هل يسرق الناس أوطاناً برمّتهـــــا هل كلّ ما خلّف الأجداد يغتصب؟!
هذي فلسطين أرض العرب ما بقيت ما غادروا أرضها يوماً وما ذهبـــــوا
هم عائدون فزولوا من أماكنـكم فالأرض من تحتكم تغلي وتضطرب

إنّ محبّة الأوطان ليست كلمة تقال، بل هي ممارسة وبرهان، فليس محبّاً وطنه من هاجر طائعاً لقاء عرض من الدنيا، وترك وطنه تنهشه الذئاب، ولو كتب في الحنين مئات القصائد، وخطّ في الشوق آلاف الرسائل، وأتى بآلاف الأعذار!! ليس محبّاً وطنه من يشبع ، وفي وطنه جائع، ومن يلبس، وفي وطنه عار!! ليس محبّاً وطنه كلّ مُرجف يشقّ الصفّ، ويبذر بذور الفتنة حيثما حلّ!! ليس محبّاً وطنه من يأكل أموال أهل وطنه بالباطل!! ليس محبّاً وطنه من كان معول هدم، وليس يداً تبني وتعمّر!! ليس محبّاً وطنه من يخون الأمانة؛ فإذا كان في وظيفة أهمل واجبه، وإذا ائتمن على مال عام سرقه، وإذا كان على ثغرة أتي من قبله!! ليس محبّاً وطنه من يعمل سمساراً يخدع الناس لتصل أراضيهم إلى الغاصب المحتلّ!! ليس محبّاً وطنه من ترك أرضه بوراً، فلم يعمرها...!!

إنّ هؤلاء لا يعرفهم الوطن، وإنّما يعرف الوطن من تشبثوا بأرضهم، ورضوا بالقليل. يعرف الوطن المخلصين فيما يسند إليهم من أعمال. يعرف الوطن اليد الزارعة، واليد الصانعة، واليد التي تعطي أكثر ممّا تأخذ، وتمتدّ بالمعروف في كلّ حين. يعرف الوطن

المصلحين الذين يبادرون إلى رأب الصدع، وإصلاح ذات البين إذا دبّ نزاع، أو خلاف. يعرف الوطن الذين يستعلون على الحزبية المقيتة التي تتضارب مع مصالح الوطن. يعرف الوطن الذين يرخّصون في الأزمات الأسعار، ويبتعدون عن الاحتكار. يعرف الوطن تلك الكواكب المضيئة من الشهداء الذين لا الزمان يحيط بعطائهم على طول الزمان ولا المكان، والذين هم أسخى من جاد؛ «والجود بالنفس أسمى غاية الجود»، إنّهم حبّ أمّتهم ونبضها، وبهم تزول حلكة الليل :

عجبت لليل لا تنفـــكّ عتمته وكلّ مُستشهد في شعبنا قمر (جمال قعوار)

وكلّ شهيد كوكـــب متألق يبدّد أطبـــاق الدجى المتراكم (جمال قعوار)

يعرف الوطن أولئك الأسود الذين يربضون خلف القضبان، وفي الزنازين يرقبون بزوغ الفجر، يفصل أحدهم عن باب الزنزانة أقلّ من متر قد يستغرق قطعه العمر كلّه، ولا يندمون.

هؤلاء وأمثالهم يحبّهم الوطن، وهؤلاء قدوتهم النبيّ- صلى الله عليه وسلّم-الذي أخرج من وطنه مثلما أخرجنا من ديارنا، ولكنه- عليه السلام- عرف طريق العودة الذي يتمثّل بالتمسّك بحبل الله المتين، وما مضت بضع سنين حتّى عاد ظافراً، أمّا نحن فما زلنا نتخبّط بين المبادئ الضالة المتضاربة ، والمصالح المتضاربة؛ ولذا فنحن في كلّ يوم نبتعد عن الهدف المنشود. فهل سنستيقظ من غفلتنا، وننهض من كبوتنا، ونسير باتجاه البوصلة التي تؤشر على الوطن ؟

إذا أردت أن تعرف الرجل فانظر كيف تحننه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه

هدير الضمير

مواقف في رحلة العمر!!

بقلم : الأستاذ ياسين السعدي

الموقف الأول: جنرالات للإيجار

كتب العميد عدنان الضميري، الناطق باسم الشرطة الفلسطينية اليوم، مقالاً بتاريخ 30\5\1991م، في جريدة الفجر التي كانت تصدر في القدس في حينه، والمتوقفة عن الصدور، تحت عنوان: (**حديث الليل وصمت النهار**)، أحتفظ بقصاصة منه منذ ذلك التاريخ. وقد ذكَّرته به عندما كان مديراً لشرطة جنين. لقد استعمل الضميري في حينه مصطلح (**عدم نشر الغسيل القذر على الحبال**)، في تعليقه على الذين ينادون بعدم محاسبة الذين كانوا يقومون بالممارسات الكارثية التي كانت ترتكب أيام الانتفاضة الأولى باسم (**التجاوزات**)، والتي كانت تصل أحيانا حد الجرائم، ولم تتم المساءلة والمحاسبة، لأن (**الشللية**) التي كانت سائدة كانت تمنع ذلك.

كتب عدنان الضميري قبل أكثر من سبعة عشر عاماً يقول : (**متى استطعنا أن ننقل ما نقوله في الليل إلى وضح النهار، نكون قد حققنا أولى شروط التغيير والتطوير**). وأضاف في الفقرة التالية: (**متى اعترفنا أنه لا توجد في مجتمعنا مقامات عليا هي فوق النقد والتقييم، نكون قد مددنا حبالاً نحو المجتمع الديموقراطي**).

في مقالتي هذه أتحدث كيف كان بعض المتسلقين يمارسون استغلال المرحلة ليثروا و(يريشوا) بعد أن كانوا (ماعطين). وهذه ظاهرة لا يستطيع أن ينكرها أحد، وكنت أول الصارخين بوجه المتسترين عليها، بحجة عدم (**نشر الغسيل القذر على الحبال**)، كما قال

الضميري.

هذا الزيت مش زيتي!

كان التوجه في تلك المرحلة؛ أن تتم مقاطعة البضائع الإسرائيلية. ولتطبيق ذلك كانت تَصادَر إذا عرضت في المحلات التجارية. لكن، كما يحدث في مثل هذا الوضع، وكما يجري اليوم من تسويق البضائع المنتهية صلاحية استعمالها، فقد كان يتم تسويق البضائع الإسرائيلية من قبل التجار الذين لهم أقارب من (الجنرالات الجدد)، كما كان يحلو للرئيس الراحل، ياسر عرفات، أن يطلق عليهم، أو كان يتم استئجار أصحاب الضمائر الضعيفة منهم من قبل التجار أصحاب الضمائر (المهترئة) الذين كانوا يدفعون المعلوم لكي يحصلوا على الحماية اللازمة لممارسة نشاطهم التجاري بحرية وطمأنينة.

كان بعضهم يتحايل على قانون (الشبيبة) بالتهريب أو بتزوير (الأوراق الثبوتية) بوضع علامة تجارية جديدة بعد نزع العلامة الموجودة عليها. ومن لم يكن له (ظهر) في تلك المرحلة، كانت البضائع (المحرمة) تصادر من محله وتباع ب (تراب المصاري) أو توزع بين الذين يصادرونها.

كنت يوماً عند أحد أقاربي، وهو التاجر فايز حمزة السعدي (أبو عمار)، في محله الذي كان يقع في بداية شارع أبو بكر من الجهة الشرقية، قريباً من مكتبتي التجارية المقابلة. دخل تاجر معروف، وهو يضع يديه المشبوكتين خلف ظهره، يتبعه ثلاثة من الشباب عرفتهم جيداً، فقد كان اثنان منهم من طلابي، والثالث من الحي الذي أسكن فيه. لم يلق التاجر التحية، ولم يسلم، وإنما أشار بإصبعه إلى عبوات زيت الذرة البلاستيكية، من الحجم الكبير الموجودة أمامه قائلاً: (**هذا الزيت مش زيتي**)! تقدم الشباب وهموا برفع (جلان الزيت) لمصادرتها. تدخلت فورا، وقلت للقائد الذي هو من رفاق ولدي الذي كان (جنرالاً) برتبة أعلى منهم: ما اسم زيتك يا حبيبي؟ قال: زيت الخيّال. قلت

له: أين يوجد مصنع الزيت هذا؟ قال: هذا استيراد غزة. قلت: وزيت (الشقحة) هذا الذي أمامنا من أين يأتي؟ ثم أردفت بأسلوبي المعروف: حبيبي؛ كله زيت إسرائيلي، والاختلاف فقط بالورقة المطبوعة عليه. ثم إن الزيت غير ممنوع؛ لأنه ليس له بديل عندنا، تماماً كالطحين والأرز والسكر ولبن (الشمينت). قولوا يا الله!

تلعثم القائد ثم قال وهو يهم بالخروج: سوف أراجع الشباب. مدعياً الرجوع إلى من هو أعلى منه. ثم أحضرت سيارتي البيجو تندر، ونقلت الزيت إلى مخزني المحصن بحماية ولدي (الميجر) جنرال عبد الله، الملقب ب (الجرو).

وتتمة للرواية (التاريخية) هذه، فقد علمت بعدها أن التاجر (المستأجر) للضمائر، قام بتسويق التمر (البيساني) بعد أن نزع (أوراقه الثبوتية) وألصق عليه أوراقاً ثبوتية مزورة جديدة، تثبت أن هذا التمر هو (تمره) وأنه (تمر العريش)، كما قرأت ذلك بنفسي!

الموقف الثاني : بريطانيا أساس الداء

وهذه حادثة مشابهة. فقد كنت يوماً موجوداً عند التاجر الصديق، فوزي زايد. رن تلفونه، وكانت زوجته على الخط تخبره بارتباك وانفعال؛ أن (الشباب) في المحل يفتشون عن البضائع الإسرائيلية الممنوعة. كان المحل مخزناً تحت البيت الذي كان يسكنه في شارع الناصرة، في عمارة أبو فرحة. كان القسم الأمامي منه يستعمل متجراً لبيع النثريات ونوفوتيه، وتعمل فيه سيدة، بينما كان القسم الخلفي مخزناً.

سألني أبو أحمد: سيارتك موجودة؟ أجبته: واقفة في باب المكتبة. قال: أوصلني إلى البيت. توجهت به إلى المحل، فوجدنا اثنين من الشباب، أحدهما من أقاربي وأحد طلابي، والآخر من طلابي كذلك، وهما ينتسبان إلى تنظيم (راديكلي) في حينه.

ألقينا التحية، فردا بأحسن منها فعلاً، وكانا منهمكين بفتح الأغطية البلاستيكية الشفافة التي بداخلها القمصان والبلايز، والكلسات الستاتي وغيرها؛ وذلك لقراءة

المصدر المطبوع على (قبة) القميص. قلت لقريبي وتلميذي: يا .... هكذا تتلفون بضاعة الرجل. تمهلوا قليلاً. ثم إن الإشارة واضحة ولا تحتاج إلى فتح الأغطية.

تقدمت إلى الآخر ووقفت أمامه وهو يفحص شفرات الحلاقة من نوع Gillette G2 ويتناول المطبوع عليها :MADE IN U.S.A ويضعها في كرتونة تمهيداً لمصادرتها، بينما كان يترك المطبوع عليها: MADE IN ENGLND . قلت له بلهجة ساخرة: أمريكا بنت بريطانيا ووريثتها في دعم إسرائيل بعد أن خلقتها بريطانيا. يا حبيبي؛ كان زعيم فلسطيني (أيام البلاد)، اسمه صبحي بك الخضرا، يردد دائماً: بريطانيا أساس الداء وأصل كل بلاء.

أجاب بلهجة لا تنم عن رضاه بما أقول : معنا تعليمات، ونعمل حسب التعليمات.

جمعا بعض الأشياء المطبوع عليها بالعبرية كذلك، وغادرا في سيارة كانت بانتظارهما.

قلت لصديقي فوزي الزايد: يا صديقي العزيز؛ ابن عمك (فلان) قيادي مبرز في التنظيم الذي يتبعانه. و(دكان) الثورة الذي تباع فيه الممنوعات موجود في واد عز الدين، أخبره بالموضوع، فيصير الحرام حلالاً، ولا تتعب حالك ولا توجع راسك.

بعد اقل من ساعة كانت البضاعة المصادرة قد أعيدت إلى المحل. وأشرت هنا إلى الأسماء حتى لا يظن القارئ الكريم من غير جنين، أنني (شايب ماتت أجياله)، لأن الأسماء (حية تسعى)، وصديقي فوزي زايد بالذات، هو من قرائي الكرام الدائمين، ولا بد أنه سوف يضحك ضحكته المهذبة عندما يقرأ هذا.

أما ابن العم، أبو عمار، فقد ذكَّرته بالموقف قبل أيام، لكنه لم يضحك ولم يترحم على تلك المرحلة، وقال ما لا يعجب الذين كانوا منتفعين من تلك المرحلة، ومن كل مرحلة مشابهة؛ سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل.

وصايا لولدي الغالي

الأستاذ فراس بشارات / دار الإفتاء الفلسطينية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

فلقد قرأت ذات يوم وصايا لوالدين حكيمين لابنهما فرأيت أن أقوم بنشرها للإفادة منها حيث قالا:

بني ...

* إياك أن تتكلم في الأشياء وفي الناس ،إلا بعد أن تتأكد من صحة المصدر، وإذا جاءك أحد بنبأ فتبين قبل أن تتهور .

* وإياك والشائعة ،لا تصدق كل ما يقال ولا نصف ما تبصر.

* وإذا ابتلاك الله بعدو، قاومه بالإحسان إليه ، ادفع بالتي هي أحسن ، أقسم بالله ، أن العداوة تنقلب حباً، تصور!!!

* إذا أردت أن تكتشف صديقاً ، سافر معه ، ففي السفر ينكشف الإنسان ، ويذوب المظهر ، وينكشف المخبر ! ولماذا سمي السفر سفراً ؟ إلا لأنه عن الأخلاق والطبائع يسفر !

* وإذا هاجمك الناس وأنت على حق ، أو قذعوك بالنقد ، فافرح !!! لأنهم يقولون لك، أنت ناجح ومؤثر، فالكلب الميت لا يُركل ، ولا يُرمى إلا الشجر المثمر !.

بني ....

عندما تنتقد أحداً ، فبعين النحل تعود أن تبصر ، ولا تنظر للناس بعين ذبابة، فتقع على ما هو مستقذر !

نم باكراً ،فالبركة في الرزق صباحاً، وأخاف أن يفوتك رزق الرحمن ،لأنك تسهر !

وسأحكي لك قصة المعزة والذئب حتى لا تأمن من يمكر، وحينما يثق بك أحد فإياك ثم إياك أن تغدر !

سأذهب بك لعرين الأسد ، وسأعلمك أن الأسد لم يصبح ملكاً للغابة لأنه يزأر !! ولكن لأنه عزيز النفس ! لا يقع على فريسة غيره ! مهما كان جائعاً يتضور،لا تسرق جهد غيرك ، فتتجور!

سأذهب بك للحرباء ، حتى تشاهد بنفسك حيلتها ! فهي تلون جلدها بلون المكان، لتعلم أن في البشر مثلها نسخ ، تتكرر !وأن هناك منافقين ، وهناك أناس بكل لباس تتدثر ! وبدعوى الخير تتستر !

بني ...

تعود أن تشكر ، يكفي أنك تمشي ، وتسمع ، وتبصر! أشكر الله وأشكر الناس ، فالله يزيد الشاكرين ! والناس تحب الشخص الذي عندما تبذل له يقدر !

اكتشفت يا بني أن أعظم فضيلة في الحياة هي الصدق ! وأن الكذب وإن نجى ، فالصدق أخلق !

بني ....

وفر لنفسك بديلاً لكل شيء ، استعد لأي أمر ! حتى لا تتوسل لنذل ، يذل ويحقر!

واستفد من كل الفرص، لأن الفرص التي تأتي الآن قد لا تتكرر !!

لا تتشكى ولا تتذمر ،أريدك متفائلاً، مقبلاً على الحياة، اهرب من اليائسين والمتشائمين! وإياك أن تجلس مع رجل يتطير !!

لا تتشمت ولا تفرح بمصيبة غيرك، وإياك أن تسخر من شكل أحد، فالمرء لم يخلق نفسه، ففي سخريتك، أنت في الحقيقة تسخر من صنع الذي أبدع وخلق وصور !!

لا تفضح عيوب الناس، فيفضحك الله في دارك، فالله الستير، يحب من يستر !

ولا تظلم أحداً، وإذا دعتك قدرتك على ظلم الناس، فتذكر أن الله هو الأقدر !

وإذا شعرت بالقسوة يوماً، فامسح على رأس يتيم، ولسوف تدهش كيف للمسح أن يمسح القسوة من القلب، فيتفطر!

بني ...

لا تجادل، في الجدل كلا الطرفين يخسر ! فإذا انهزمنا فقد خسرنا كبرياءنا نحن ! وإذا فزنا فلقد خسرنا الشخص الآخر لقد انهزمنا كلنا، الذي انتصر، والذي ظن أنه لم يُنصر .

لا تكن أحادي الرأي، فمن الجميل أن تؤثر وتتأثر ! لكن إياك أن تذوب في رأي الآخرين، وإذا شعرت بأن رأيك مع الحق، فاثبت عليه ولا تتأثر !

تستطيع يا بني أن تغير قناعات الناس، وأن تستحوذ على قلوب الناس وهي لا تشعر! ليس بالسحر ولا بالشعوذة، فبابتسامتك، وعذوبة لفظك، تستطيع بهما أن تسحر !!

ابتسم ....

فسبحان من جعل الابتسامة في ديننا عبادة وعليها نؤجر !! إن لم تجد من يبتسم لك، ابتسم له أنت! فإذا كان ثغرك بالبسمة يفتر بسرعة، تتفتح لك القلوب لتعبر !!

وحينما يقع في قلب الناس نحوك شك، دافع عن نفسك، وضح، برر !

لا تكن فضولياً تدس أنفك في كل أمر، تقف مع من وقف إذا الجمهور تجمهر !!

بني ...

ترفع عن هذا، إنه يسوءني هذا المنظر !! لا تحزن يابني على ما في الحياة ! فما خلقنا فيها إلا لنمتحن ونبتلى، حتى يرانا الله، هل نصبر ؟؟؟

لذلك، هون عليك ، ولا تتكدر ! وتأكد بأن الفرج قريب، فإذا اشتد سواد السحب، فعما قليل ستمطر !!

لا تبك على الماضي، فيكفي أنه مضى، فمن العبث أن نمسك نشارة الخشب، وننشر!!

أنظر للغد، استعد، شمّر !! كن عزيزاً، وبنفسك افخر ! فكما ترى نفسك سيراك الآخرون، فإياك لنفسك يوماً أن تحقر !!فأنت تكبر حينما تريد أن تكبر، وأنت فقط من يقرر أن يصغر !

بني ...

قررنا أن نربيك وأنت في بطن أمك، لتكون أعظم شخصية، لو قلت يا والداي لماذا بدأتما باكراً؟ تكتشف أن الإنسان لو كبر ، لن ينفع معه إلا معجزة مالم هو بنفسه يتغير!

وفي الختام :

عزيزي القارئ ما هذه إلا كلمات من أحرف صفت في سطور لتعبر عن مدى حرص الوالدين على تربية أبنائهما التربية السليمة الكريمة التي ترفع من شأنهم ، راجياً الله عز وجل أن يحفظ أبناءنا من كل سوء .

(وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)
(لقمان :13)

من أخبار مكتب المفتي العام ودور الإفتاء الفلسطينية

إعداد: أ. مصطفى أعرج / مدير دائرة الإعلام

المفتي العام يترأس الجلسة الحادية والسبعين لمجلس الإفتاء الأعلى

القدس: ترأس سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى – جلسة المجلس الحادية والسبعين ، حيث أشاد سماحته بالوقفة الشجاعة لأهالي القدس في وجه التهويد والمصادرة ، وقد ناقش المجلس العديد من المسائل الفقهية منها : الحكم الشرعي في ربط أسعار السلع التجارية والمستحقات المالية بجدول غلاء المعيشة ، وحدود المباح رؤيته من جسد المخطوبة لمن أراد خطبتها وشروط ذلك ،ومتى يقع طلاق الغضبان ، ومتى لا يعتبر واقعاً، وحكم الطلاق المعلق على شرط .

المفتي العام يشارك في افتتاح جامع الصالح في اليمن

القدس / صنعاء : شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / خطيب المسجد الاقصى المبارك – في حفل افتتاح جامع الصالح وكلية الصالح للقرآن والدراسات الإسلامية في العاصمة اليمنية (صنعاء)، وذلك بدعوة من العميد أحمد علي عبد الله صالح / رئيس مجلس إدارة مؤسسة الصالح الاجتماعية للتنمية، وقد التقى سماحته بالعديد من الوفود الرسمية والشعبية المشاركة في حفل الافتتاح ،كما التقى معالي وزير الإعلام اليمني، ومعالي السيد يحيى صالح / رئيس جمعية كنعان ، والدكتور أحمد الديك/ سفير دولة فلسطين في الجمهورية اليمنية، وأطلع سماحته الحضور على المعاناة الصعبة التي يعيشها الشعب الفلسطيني ومقدساته وعلى رأسها المسجد الأقصى المبارك.

المفتي العام يشارك في افتتاح جامع محمد الأمين في لبنان

القدس/بيروت : شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / رئيس مجلس الإفتاء الأعلى – في حفل افتتاح جامع محمد الأمين صلى الله عليه وسلم وسط العاصمة اللبنانية (بيروت)، وذلك بدعوة من النائب سعد الحريري، وألقى سماحته خلال الحفل كلمة أشاد فيها بمشروع بناء هذا المسجد الكبير، كما ناشد

مختلف الدول العربية والإسلامية ضرورة مواصلة دعم الشعب الفلسطيني في مواجهته مع الاحتلال، وتصديه للحصار الظالم، والتقى سماحته أعضاء من الوفود المشاركة وعدداً من الشخصيات الرسمية والشعبية؛ منها عباس زكي/ ممثل فلسطين في لبنان، والشيخ محمد رشيد قباني/ مفتي لبنان، وعبد الكريم قبلان/ نائب رئيس المجلس الأعلى الشيعي، وعدداً من رؤساء الطوائف اللبنانية الأخرى ،كما زار مخيم عين الحلوة والتقى عدداً من الشخصيات الفلسطينية هناك.

المفتي العام يشارك في المؤتمر الثامن لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية في ليبيا

القدس / طرابلس : شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ خطيب المسجد الأقصى المبارك – في المؤتمر الثامن لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية الذي أقيم في العاصمة الليبية (طرابلس) والتقى سماحته خلال زيارته بالأمين العام للجمعية الدكتور محمد أحمد الشريف، ومساعده الدكتور إبراهيم الربو، وثمن سماحته أعمال الجمعية الممتدة في أنحاء العالم، كما شارك في الندوات والمحاضرات الدينية التي نظمتها الجمعية .

الشيخ محمد حسين يقدم درع دار الإفتاء الفلسطينية لرئيس جمعية الدعوة الإسلامية

خلال مؤتمر صحفي في مركز الإعلام الفلسطيني

المفتي العام يدعو الى مقاطعة انتخابات بلدية القدس المحتلة

القدس : دعا سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى - السكان العرب الفلسطينيين في القدس إلى مقاطعة انتخابات بلدية القدس المحتلة، وأضاف سماحته واجبنا الديني يدعونا إلى

مقاطعة هذه الانتخابات، لأن القدس أرض عربية محتلة وأهلنا في بيت المقدس رفضوا أن يكونوا جزءاً من هذا الاحتلال، والمشاركة في الانتخابات البلدية يعد مسّاً بمكانة القدس كعاصمة روحية وسياسية لفلسطين، جاءت هذه الأقوال خلال مشاركة سماحته وعدد من الشخصيات الرسمية الفلسطينية المقدسية في مؤتمر صحفي عقد في مركز الإعلام الفلسطيني في مدينة البيرة، بدعوة من رابطة الشباب المقدسيين .

ضمن حملة رفع الإغلاق عن البلدة القديمة في الخليل
المفتي العام يدعو إلى دعم صمود أهلنا في الخليل

الخليل : دعا سماحة الشيخ محمد حسين - المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/ رئيس مجلس الإفتاء الأعلى - المواطنين إلى تقديم كل الدعم والمساندة

المفتي العام خلال زيارته التضامنية إلى البلدة القديمة في الخليل

لسكان البلدة القديمة في الخليل في وجه الممارسات البشعة، التي تمارسها سلطات الاحتلال وقطعان المستوطنين ضد المواطنين الفلسطينيين العزل في المدينة، واستنكر سماحته العراقيل التي تضعها سلطات الاحتلال أمام المصلين المسلمين، ومنعهم من الوصول إلى المسجد الإبراهيمي لإعماره والصلاة فيه، مبينا سماحته أن الشرائع السماوية والأعراف الدولية تمنع المس بأماكن العبادة، وقد أثنى سماحته على ثبات سكان البلدة

القديمة في الخليل وصمودهم في وجه هذه الممارسات الظالمة ، جاء ذلك خلال قيام سماحته على رأس وفد من دار الإفتاء الفلسطينية بزيارة خيمة التضامن الخاصة بالحملة الوطنية لرفع الإغلاق عن البلدة القديمة في الخليل.

خلال مشاركته في مظاهرة احتجاجية ضد المس بمقبرة مأمن اللّه
المفتي العام يدعو الأمم المتحدة إلى وقف العدوان على كرامة أموات المسلمين

القدس: شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية خطيب المسجد الأقصى المبارك – والعديد من القيادات الوطنية والدينية الإسلامية والمسيحية وحشد كبير من المواطنين في مظاهرة احتجاجية في القدس ضد بناء ما يسمى (**بمتحف التسامح**) على أنقاض مقبرة مأمن الله، وأكد سماحته أنه من حق المقدسيين الفلسطينيين الدفاع عن كرامة موتاهم، وهو الحق الذي تحفظه كل الشرائع السماوية ، وطالب سماحته الأمم المتحدة واليونسكو بالتدخل لوقف العدوان على كرامة أموات المسلمين وعدم بعثرة عظامهم.

المفتي العام يؤم المتضامنين مع عائلة الكرد

القدس: أدى سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية/خطيب المسجد الأقصى المبارك – صلاة الظهر إماما بالمتضامنين مع عائلة الكرد في القدس، وقال سماحته: إن ما جرى مع أم كامل الكرد هو حكاية كل فلسطيني سواء أكان طفلا أم شيخا كبيرا، أم امرأة، مؤكدا سماحته على أن الشعب الفلسطيني سيبقى صامداً في أرضه، رافضاً الركوع أو الخنوع للممارسات القمعية الإسرائيلية، وتابع سماحته أنه آن الأوان لكي يستيقظ العالم ويرى مدى الظلم الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني، فالمواطن يقتلع من منزله وتصادر أملاكه وعقاراته، وتقيد حريته، ويُعتدى على كرامة أحيائه وأمواته وتقتلع أشجاره، مؤكداً أن هذه الممارسات باطلة وفق جميع الأنظمة والقوانين والأعراف الإنسانية والدولية ، وقد شارك سماحته في المؤتمر الصحفي الذي عقد في خيمة أم كامل الكرد والذي تحدث فيه بالإضافة إلى معالي الدكتور رفيق الحسيني/ رئيس ديوان الرئاسة، والسيد حاتم عبد القادر/ مستشار رئيس الوزراء لشؤون القدس، وصاحبة المنزل أم كامل الكرد.

خلال مؤتمر صحفي عقده مركز عدالة والائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس

المفتي العام :سلطات الاحتلال لا يحق لها القيام بأي إجراء في مدينة القدس

القدس : شارك سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / خطيب المسجد الأقصى المبارك – في المؤتمر الصحفي الذي عقده مركز عدالة والائتلاف الأهلي للدفاع عن حقوق الفلسطينيين في القدس، حيث عرضت خلاله تأثيرات ومخاطر الخارطة الهيكلية اللوائية لمنطقة القدس التي صدرت قبل شهرين، وأكد سماحته أن سلطات الاحتلال لا يحق لها القيام بأية تغييرات في مدينة القدس المحتلة، لأن كل الأعراف والقوانين الدولية تمنع العبث بالأراضي المحتلة، ووصف سماحته المخطط الهيكلي بأنه مخطط رهيب، وأن إسرائيل تتجاهل السكان الفلسطينيين وتقطع التواصل الجغرافي بين الأحياء العربية، وتعرقل وصول السكان إلى أراضيهم، وبالمقابل تزيد من المستوطنات حول القدس.

المفتي العام يسلم الرئيس التونسي مفتاح القدس

القدس / تونس : تسلم سيادة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي مفتاح القدس الشريف وزيتونة فلسطينية مغروسة بتراب القدس والمسجد الأقصى المبارك من سماحة الشيخ محمد حسين / المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / خطيب المسجد الأقصى المبارك – وسماحة الشيخ الدكتور تيسير التميمي / قاضي قضاة فلسطين، وقد ألقى سماحة المفتي العام كلمة عبر فيها عن وفاء ومحبة الشعب الفلسطيني وقيادته للشعب والقيادة التونسية التي أحبت فلسطين وساندت نضال الشعب الفلسطيني وقيادته في أحلك الظروف وأصعبها ولازالت تواصل مساندتها ودعمها اللامحدود للقضية الفلسطينية ،وأضاف أن شعبنا لن ينسى ؟؟ وكيف ينسى؟؟ تلك الأيام العصيبة التي مرت بها ثورتنا ومنظمة التحرير الفلسطينية يوم وقفت تونس وقيادتها وشعبها إلى جانب شعبنا وخياراته حين احتضنت بقلبها وبأرضها وبحبها وبإخلاصها ،واسنادها منظمة التحرير الفلسطينية وقائدنا ورمزنا الشهيد القائد الراحل ياسر عرفات «أبو عمار» رحمه الله ،الذي أحب تونس(قيادة وشعباً)، وأضاف أن الشعب الفلسطيني مسلح بدعم وإسناد القيادة والحكومة والشعب التونسي على الدوام .

وفد من دار الإفتاء الفلسطينية يشارك في بعثة الحج الفلسطينية

القدس: شارك وفد من دار الإفتاء الفلسطينية في بعثة الحج الفلسطينية ، وضم الوفد عدداً من المفتين ونوابهم، وأكد سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – على الدور الذي تقوم به بعثة الحج الفلسطينية وبخاصة في مجال إرشاد الحجاج لأداء مناسك الحج على أكمل وجه .

مفتي محافظة رام الله والبيرة يستقبل إمام مسجد الفرح بأمريكا

القدس : استقبل فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية/ مفتي محافظة رام الله والبيرة – الشيخ فيصل عبد الرؤوف / إمام مسجد الفرح بأمريكا والوفد المرافق، وقد استعرض فضيلته مع الضيف سبل التعاون والحوار البناء بين البشر لما فيه خير الإنسانية، وبيّن الشيخ عوض الله أن التسامح وحسن المعاملة قيم إسلامية تعبر عن المبادئ التي جاء بها الإسلام الحنيف، الذي يدعو

إلى العدل وحفظ حقوق الناس على اختلاف أجناسهم ومعتقداتهم، ويفسح المجال رحبا لفهم الآخر واحترام إنسانيته، وانتقد حملة التشويه المتعمدة ضد الاسلام ورموزه والتي تصفهم ظلماً بالتطرف والإرهاب..

خلال مشاركته في احتفال فعاليات سوق عكاظ

مفتي محافظة رام الله والبيرة يبين أهمية الربط بين الطالب ووطنه

القدس : شارك فضيلة الشيخ إبراهيم خليل عوض الله – الوكيل المساعد لدار الإفتاء الفلسطينية / مفتي محافظة رام الله والبيرة – في فعاليات انطلاق سوق عكاظ في دورته الرابعة والعشرين، والذي أقامته جمعية الرازي للثقافة والمجتمع، وقد ألقى فضيلته كلمة نيابة عن سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية – ثمن فيها هذه الخطوة من جمعية الرازي، مؤكداً على ضرورة إقامة مثل هذه المسابقات التي تساعد في نشر العلم والمعرفة، وتهدف إلى تعزيز الارتباط بالوطن والقدس على وجه الخصوص.

تعيين الشيخ جميل جمعة مفتياً لمحافظة سلفيت

سلفيت : أعلن سماحة الشيخ محمد حسين – المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية / رئيس مجلس الإفتاء الاعلى – عن تعيين الشيخ جميل سليمان جمعة مفتيا لمحافظة سلفيت، وأكد سماحته أن هذا القرار يهدف إلى مساعدة المواطنين في المحافظة والتسهيل عليهم لتلبية حاجتهم في معرفة أمورهم الدينية خاصة في ظل الحصار

والإغلاق والحواجز التي تفرضها سلطات الاحتلال على الأراضي الفلسطينية، جدير بالذكر أن الشيخ جمعة تولى العديد من الأعمال في مجال الوعظ والإرشاد كان آخرها مديراً لدائرة البحوث والدعوة في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

يظهر في الصورة مفتي محافظة سلفيت وعلى يمينه الوكيل المساعد ومدير الدائرة المالية وعلى يساره مدير دائرة الإعلام لدار الإفتاء الفلسطينية

مفتي محافظة نابلس يلقي محاضرة دينية حول الوسطية في الإسلام

نابلس: ألقى فضيلة الشيخ أحمد شوباش – مفتي محافظة نابلس – محاضرة دينية لقوات الأمن العام والشرطة في قاعة سليم أفندي ،حضرها عشرات الضباط وضباط الصف، بالتعاون مع مسؤول التوجيه السياسي في شرطة نابلس، بعنوان «الوسطية في الإسلام والإعداد الإيماني لرجال الأمن» تناول فيها أهمية الوسطية ومظاهرها في الدين، وواجب رجال الأمن في الاستعداد الإيماني، وقد أجاب في نهاية المحاضرة عن أسئلة الحضور.

من ناحية أخرى زار فضيلته مدرسة الملك طلال وألقى كلمة حث فيها الطلاب على العلم وآدابه، وكذلك دعا إلى الحرص على معاني الوحدة والأخوة ، وشارك كذلك في العديد من الحلقات المتلفزة أجاب خلالها على العديد من الاستفسارات، علما بأن فضيلته يلقي خطب الجمعة في العديد من مساجد المحافظة.

مفتي جنين يودع حجاج المحافظة

جنين : قام فضيلة الشيخ محمد سعيد صلاح – مفتي محافظة جنين – بوداع حجاج المحافظة لهذا العام، وبين سماحته أنهم سفراء فلسطين في موسم الحج، وهم الوجه المشرق لشعبنا، من ناحية أخرى ألقى فضيلته العديد من خطب الجمعة في المحافظة، دعا خلالها إلى الوحدة ورص الصفوف ،كما شارك في حل العديد من النزاعات الأسرية، وقد شارك فضيلته في استقبال غبطة البطريرك فؤاد طوال في مدينة الزبابدة ،كما شارك في حفل وضع حجر الأساس لحديقة الزبابدة الخيرية، والتي قام بافتتاحها دولة الدكتور سلام فياض / رئيس الوزراء.

مفتي محافظة أريحا والأغوار يشارك في ندوة نظمتها الأكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية

أريحا والأغوار : شارك فضيلة الشيخ محمد أبو الرب – مفتي محافظة أريحا والأغوار– في الندوة الدينية التي نظمتها الأكاديمية الفلسطينية للعلوم الأمنية، تحت عنوان (سماحة ويسر الدين الإسلامي) حضرها طلبة الأكاديمية وعدد من أعضاء الطاقم الإداري والأكاديمي فيها، وبين فضيلته أن الإسلام ليس حكرا على شخص، أو فئة، أو جماعة معينة، وهو دين شامل غير مختص بلون أو جنس أو عرق ،كما أكد فضيلته أن الإسلام يحترم إنسانية الإنسان، وحقوقه الكاملة في جميع مناحي الحياة .

من ناحية أخرى زار فضيلته مدرسة فاطمة الزهراء وألقى محاضرة حول أهمية العلم ودور المرأة المسلمة ، وشارك كذلك في مراسم إجراء عطوة صلح في قرية الجفتلك، ألقى كلمة فيها عن أهمية التسامح والعفو وكظم الغيظ.

مسابقة العدد 82

أسئلة المسابقة :

1. ما سبب قيام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – بإحراق طعام بحضرة الصحابة؟
2. متى وقع العدوان الثلاثي على مصر؟
3. ما المقصود بشاطئ الوادي الأيمن؟
4. ما المدة التي بقي فيها المسلمون يتوجهون نحو بيت المقدس في صلاتهم ؟
5. لماذا توج الأسد ملكاً للغابة؟
6. هات حديثاً من صحيح مسلم يذكر المتنطعين؟
7. ما المقصود بالإزار؟
8. ما رقم قرار التقسيم، ومتى صدر؟
9. ماذا يصنع من شك في عدد ركعات صلاته؟
10. أين نصح الرسول صلى الله عليه وسلم ذا الأصابع بالبقاء بعده؟

تنبيه: يمكن العثور على إجابة أسئلة المسابقة ضمن محتويات هذا العدد

جوائز المسابقة

الجائزة الأولى: 250 شيكلاً

الجائزة الثانية: 200 شيكلاً

الجائزة الثالثة: 150 شيكلاً

ملحوظتان :

ـ يرجى كتابة الاسم الثلاثي والعنوان البريدي ورقم الهاتف و الإجابات بخط واضح .

ـ ترسل الإجابات على العنوان الآتي :

مسابقة الإسراء ، العدد الثاني والثمانون

مجلة الإسراء / مديرية الإعلام والبحوث الإسلامية

دار الإفتاء الفلسطينية

ص.ب : 20517 القدس الشريف

ص.ب : 1862 رام الله

حل مسابقة العدد 80

ج1: الريان.

ج2: المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به.

ج3: لأن الصبر نصف الإيمان.

ج4: الرفق.

ج5: اتفاقية جنيف للعام 1949م.

ج6: صفحة 26.

ج7: 1500 دينار أردني.

ج8: سورة البقرة.

ج9: سعادة السفير أشرف عقل.

ج10: ثمانية شواكل.

الفائزون في مسابقة العدد 80

الفائزون	الإسم	العنوان	قيمة الجائزة بالشيكل
الأول	سمية عبد الكريم سليم ذياب	طولكرم	250
الثاني	سيرين خليل بالو	أريحا	200
الثالث	فاطمة صابر صباح	جنين	150

خاتمة . . . خاتمة . . . خاتمة . . . خاتمة . . . خاتمة . . . خاتمة . . . خاتمة . . . خاتمة . . .

عام هجري جديد

بقلم : د. بركات فوزي / أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة القدس / مدير مركز القدس للدراسات والإعلام الإسلامي

ففي مثل هذه الأيام ومنذ (1429) عاماً هاجر النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– من أحب أرض الله إليه، من مكة المكرمة، إلى يثرب التي تنورت بمقدمه فأصبحت تسمى المدينة المنورة. وكانت هذه الهجرة بداية تأسيس الدولة الإسلامية، التي استظلت البشرية بظلها قروناً طويلة تنعم بالأمن والأمان والسلام والازدهار.

لم يؤرخ الرسول محمد عليه السلام بهذه المناسبة، وكذلك خليفته أبو بكر الصديق – رضي الله عنه– إلى أن تسلم الخلافة الفاروق الذي كان الحق يلازم لسانه وفعله، فأراد للأمة الإسلامية أن تتميز بتأريخها كما هي متميزة في عقيدتها وقيمها وتصوراتها، وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة من السنة السابعة عشرة للهجرة، فأجمع الصحابة على أن تكون الهجرة النبوية بداية التأريخ للأمة العربية والإسلامية جمعاء، وكان أول شهر محرم من السنة التي هاجر فيها الرسول – صلى الله عليه وسلم – بداية للتأريخ الإسلامي؛ لأنه من الأشهر الحرم، وأول الشهور في العد، ولأنه شهر حرام ويلي ذي الحجة الذي فيه أداء الناس حجهم الذي به تمام أركان الإسلام الخمسة.

إن التقويم الهجري أو التقويم الإسلامي ـ كما يسمى ـ أحيانا هو تقويم قمري يعتمد على حركة القمر ودورته، ومن خلالها يتم تحديد الأشهر والأيام، ومع أن العرب كانوا يستخدمون الأشهر القمرية المعروفة إلا أن اتفاق المسلمين زمن عمر على بدء التأريخ الإسلامي بالهجرة كان سببا لتسمية هذا التقويم بالهجري مع أن أسماء الأشهر القمرية كانت تستخدم منذ أيام الجاهلية.

ويتكون التقويم الهجري من (12) شهرا قمريا، وكل شهر قمري يتكون من (29 أو 30) يوماً لأن دورة القمر الظاهرية تساوي (29.530588) يوما. وتساوي السنة الهجرية بالتحديد (354.367056) يوم، بفارق (11) يوما بين التقويم الميلادي الشائع والتقويم الهجري.

وأخيرا.. هذا عام قد انصرم من حياتنا وحياة الأمة الإسلامية، نودعه بكل ما فيه من أفراح وأحزان، بحسناتِه وسيئاتِه، بما قدمنا فيه لله ولأنفسنا وللآخرين من أعمال خيرة وصالحة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هل تدبرنا ما قدمنا وأخرنا في العام المنصرم؟ وهل جلسنا ولو للحظات لنحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب؟ ونوزن أعمالنا قبل أن توزن؟

كيف كانت علاقتنا بربنا؟ هل حافظنا على فرائضه وأوامره وتشريعاته وأحكامه أم ضيعنا؟

وماذا قدمنا لأمتنا الإسلامية والعربية؟ بل لشعبنا الفلسطيني العظيم؟ هل حرصنا على وحدته وقوته، أم تنازعتنا المصالح والأهواء ونسينا الواجب والأهم؟

من الضروري أن نتفكر فيما مضى وانقضى ليس من باب الأسى والقنوط، ولكن لتدارك ما فات، ولتجنب ما قصَّرنا فيه، وبهدف شحذ الهمم وإيقاظ الضمائر وبث الحمية في القلوب، فلا خير في أيام لا تزدنا قربا وطاعة لله تعالى، ولا تعود بخير علينا وعلى شعبنا وأمتنا.

نسأل الله أن يجعل العام الجديد عام خير وبركة للإسلام والمسلمين، وأن يكون عام خير لشعبنا الفلسطيني، فيه تتوحد كلمتهم، ويُلم شملهم، وتتحقق آمالهم بتحرير مقدساتهم وإقامة دولتهم الفلسطينية.